المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

لويس كارول

مغامرات أليس فى بلاد العجائب

ترجمة: نادية الخولى

مراجعة: مصطفى رياض



2184

سئمت أليس من طول الجلوس بجوار أختها بغير عمل يشغلها، ثم رأت أرنبًا أبيض يجرى أمامها ثم يقف، ويُخرِج من جيب صدارته ساعة ينظر فيها ويقول: "لقدَ تأخرت عن موعد الدوقة!" ثم يسرع بالعدو، فجَرت وراءه أليس وقد ثار فضولها، وإذا به يختفى داخل جحر تحت السور...
وبسرعة تبعته أليس وسقطت فى نفق طويل انتهى بها إلى بلاد العجائب، وإلى عالم مثير من المغامرات... فهيا نلحق بها لنخوض معها تلك الرحلة المدهشة.



تصميم الغلاف: نسرين كشك

مغامرات أليس

فى بلاد العجائب

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: كاميليا صبحى

- العدد: 2184
- مغامرات أليس فى بلاد العجائب
- لويس كارول
- نادية الخولى
- مصطفى رياض
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة:
Alice's Adventures in Wonderland
By: Lewis Carroll

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

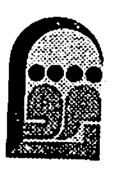
مغامرات أليس فى بلاد العجائب

بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً
على صدور الكتاب

تأليف: لويس كارول

ترجمة: نادية الخولى

مراجعة: مصطفى رياض



2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كارول؛ لويس .
مغامرات أليس فى بلاد العجائب/ تأليف: لويس كارول؛ ترجمة: نادية الخولى، مراجعة: مصطفى رياض .
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٣
١٦٤ ص ، ٢٠ سم
١ - القصص الإنجليزية.
٢ - قصص الأطفال.
(أ) الخولى، نادية(مترجم)
(ب) رياض، مصطفى(مراجع)
(ج) العنوان ٨٢٣

رقم الإيداع ٢٠١٢/١١٧٦٦
الترقيم الدولى 978-977-216-164-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات



الفصل الأول

السقوط فى جحر الأرنب



بدأ الملل يسيطر على أليس وهى تجلس بالقرب من أختها على ضفة النهر، لا تفعل شيئا سوى إلقاء نظرة خاطفة بين الحين والآخر على الكتاب الذى تطالعه أختها، لكنه كان كتابا بلا صور وبلا حوار؛ فحدثت نفسها قائلةً: "وما فائدة كتاب خالٍ من الصور ومن الحوار؟"

وأخذت تفكر (قدر ما استطاعت؛ فشدة الحرارة جعلتها تشعر بنعاس شديد وتبلد)... هل صُنع عِقد من زهرة الربيع يستحق النهوض وقطف الأزهار؟ وفجأة! لمحت أرنبًا أبيض له عينان ورديتان يمر بالقرب منها.

لم تستغرب أليس لذلك ولا لسماع الأرنب وهو يحدث نفسه قائلا:

"يا إلهى! يا إلهى! سوف أتأخر" (وحين فكرت فى ذلك فيما بعد، خطر لها أنه كان عليها أن تستغرب الأمر، لكن كل ذلك بدا طبيعيا جدا آنذاك) ولكن عندما أخرج الأرنب ساعة من جيب صِداره ونظر فيها ثم مضى مسرعا وقفت أليس فى اندهاش؛ إذ خطر لها أنها لم تشاهد قط أرنبا لديه جيب صِدار ولا ساعة يخرجها من ذلك الجيب، ومن شدة فضولها جرت عبر الحقل متتبعة الأرنب، ولحسن حظها لحقت به وهو يختفى بسرعة فى جحر كبير تحت السور. انزلقت أليس وراءه دون أن تتوقف لحظة لتفكر كيف ستتمكن من الخروج بعد ذلك.

امتد جحر الأرنب مثل النفق لمسافة قصيرةٍ ثم انحدر فجأة، ولم يكن لدى أليس أية فرصة لتمنع نفسها من السقوط فى بئر عميقة جدا.

والبئر كانت إما عميقة جدا، أو أن أليس سقطت ببطء شديد، فقد كان لديها متسع من الوقت لتنظر من حولها وهى تسقط، ولتتساءل عما سيحدث فيما بعد. فى البداية، حاولت أن تنظر إلى الأسفل لتتبين ما

ينتظرها، ولكن الظلام كان حالكا ولم تستطع أن ترى شيئا، ثم نظرت إلى جوانب البئر، ولاحظت أنها تزدحم بالدواليب ورفوف الكتب، فشاهدت خرائط وصوراً معلقة بملاقط غسيل هنا وهناك. جذبت أليس برطماناً من أحد الرفوف وهى تمر بها وقد لُصقت عليه بطاقة كُتب عليها "مربى البرتقال"، لكنه لسوء حظها كان فارغا، فلم تشأ أن تلقى به خشية أن تقتل أحدا فى الأسفل فاحتفظت به إلى أن أودعته أحد الدواليب أثناء سقوطها.

وقالت أليس فى قرارة نفسها: "بعد سقطة كهذه، لن أعتبر السقوط على السلم أمرا خطيرا! كم سيظن كل من فى البيت أنى شجاعة! ولن أذكر شيئا عن ذلك وإن سقطت من أعلى البيت! (وهذا أمر محتمل جدا).

استمرت أليس فى السقوط إلى أسفل، فأسفل، فأسفل؛ ألن يبلغ سقوطها نهايته؟ قالت بصوت مرتفع: "أتساءل كم ميلاً قطعت وأنا أسقط حتى الآن؟ لابد أننى اقتربت من منتصف الكرة الأرضية. دعونى أرى... على ما أظن سيكون ذلك أربعة آلاف ميل تحت سطح الأرض."(لأنه كما تعرف أيها القارئ العزيز، تعلمت أليس عدة أشياء عن هذا الموضوع فى دروسها بالمدرسة، ومع أن هذه الفرصة لم تكن الأفضل لتزهو بمعارفها لأنه لا أحد يصغى إليها، فإن تكرارها لتلك المعلومات يعد تدريبا"جيدا"). - نعم، هذا فيما يتعلق بالمسافة الصحيحة - ولكن بعد

ذلك أتساءل عن موقعي من حيث خطي الطول والعرض؟" (لم تكن لدى أليس أدنى فكرة عما هو خط الطول أو خط العرض، و لكنها تصورت أنهما تعبيران جميلان فخمان يستحقان أن تنطق بهما).

ثم ما لبثت أن واصلت حديثها: "أتساءل عما إذا كنت سأقع حتى أخترق الأرض! كم سيبدو غريبا أن أجد نفسي بين أناس يمشون ورؤوسهم تتدلى إلى الأسفل! ويطلق عليهم اسم"المتنافرون" على ما أظن -"وشعرت بارتياح إذ لم يسمعها أحد، فلم تبدُ الكلمة صحيحة على الإطلاق)" - وأدركت أن عليها أن تسأل عن اسم البلد فقالت: "أرجوك يا سيدتي، هل هذه نيوزيلندا أو أستراليا؟" (وقد حاولت أن تنحني باحترام وهي تتكلم - تخيل أن تنحني احتراما وأنت تسقط في الهواء، أتظن أنك تستطيع أن تفعل ذلك؟)" وكم! ولعلها ستظن أني بنت صغيرة لا تعرف شيئا إذا ما سألت عن ذلك الأمر! لا، لن أسأل أبدا فربما أجد الاسم مكتوبا في مكان ما".

واستمرت أليس في السقوط إلى أسفل، فأسفل، فأسفل؛ ولم يكن بوسعها أن تفعل أي شيء، فاستمرت في الحديث وقالت: "كم ستفتقدني دينا الليلة!" (دينا هي القطة)"أرجو أن يتذكر أحدهم تقديم اللبن إليها وقت تناول الشاي. عزيزتي دينا كم أتمنى وجودك معي هنا! ولكنني أتساءل عما إذا كانت القطط تستطيع صيد الوطاويط، فهي تشبه الفئران". وهنا بدأتَ أليس تشعر بشيء من النعاس، وتابعت حديثها

إلى نفسها بطريقة أقرب إلى الحلم: "وهل تأكل القطط الوطاويط؟ هل تأكل القطط الوطاويط؟" وأحيانا تقول: "هل تأكل الوطاويط القطط؟" وبما أنّها، كما يعرف القارئ، قد عجزت عن الإجابة عن أى من السؤالين فلم يعد مهماً كيف تصيغهما. وأحست أن النعاس يغالبها ثم بدأت تحلم أنها تمشى ممسكة بيد دينا وأنها تقول لها بجدية بالغة: "الآن يا دينا، أخبرينى بالحقيقة: هل سبق أن أكلت وطواطا؟ وفجأة! اصطدمت أليس بكومة من العصى وأوراق الأشجار الجافة، وصدر صوت ارتطامها: دِب، دِب! ، وبذلك انتهى السقوط.

لم تصب أليس بأى أذى، فوقفت وتطلعت إلى أعلى، ولكن كل شىء كان مظلما. كان أمامها ممر طويل آخر ظهر فيه الأرنب الأبيض وهو يهرول. لم يكن هنالك أية لحظة تضيعها فانطلقت أليس كالريح لتصل إليه فإذا بها تسمعه يقول: "أواه يا أذنى! ويا شاربى! لقد تأخرت!" كانت وراءه تماما عندما انعطف عند زاوية واختفى عن الأنظار. وجدت أليس نفسها فى قاعة طويلة يضيئها صف من المصابيح المتدلية من السقف.

أحيطت القاعة بالأبواب من كل الجوانب، ولكنها كانت جميعها مقفلة. فأخذت أليس تجرب فتحها ولكنها لم تفلح، فشعرت بحزن وتساءلت كيف ستخرج مرة ثانية.

وفجأة وجدت مائدة صغيرة لها ثلاثة أرجل كلها مصنوعة من الزجاج، ولم يكن عليها شيء سوى مفتاح ذهبى صغير فتبادر إليها أنه قد يكون مفتاح أحد الأبواب، ولكن للأسف كانت الأقفال كبيرة جدا أو المفتاح صغير جدا، وبعد جولة أخرى فى القاعة



وجدت أليس ستارة منخفضة لم تلاحظ وجودها من قبل ووجدت وراءها بابا صغيرا ارتفاعه خمس عشرة بوصة فجربت وضع المفتاح الذهبى الصغير فى القفل، ويا لشدة فرحتها إذ وجدت أن المفتاح يفتحه!

وهكذا فتحت أليس الباب، ووجدت أنه يؤدى إلى ممر صغير، ليس أكبر بكثير من جحر فأر. انحنت ونظرت عبر الممر، لترى أروع حديقة وقعت عليها عيناها على الإطلاق، فتمنت الخروج من تلك القاعة المظلمة حتى تتجول بين أحواض الورود الملونة والنوافير بمياهها المنعشة، ولكنها

عجزت حتى عن إدخال رأسها عبر الباب، وأدركت أليس المسكينة..."أنه حتى لو مر رأسى فإن ذلك لن يجدى من دون كتفى. أواه، كم أتمنى لو أننى أنطبق مثل التلسكوب! أظننى أستطيع ذلك لو أننى أعرف السبيل إليه". لأنه كما ترى يا عزيزى القارئ حدثت أمور غريبة كثيرة مؤخرا جعلت أليس تدرك أن ما يعد مستحيلا ليس بالكثير.

واتضح لأليس عدم وجود أية فائدة من الانتظار بجانب الباب الصغير، فعادت إلى المائدة يراودها الأمل فى أن تعثر على مفتاح آخر فوقها، أو ربما على كتاب إرشادات عن انغلاق الناس مثلما ينغلق التلسكوب. وهذه المرة وجدت زجاجة صغيرة (وقالت أليس لنفسها "إنها بالتأكيد لم تكن موجودة هنا من قبل".) حول عنقها بطاقة طُبع عليها بشكل جميل وبأحرف كبيرة :"اشربى".

قد يبدو أن دعوة الزجاجة لأليس كى تشرب منها أمرًا عاديًا، إلا أن أليس الصغيرة الحكيمة لم تكن لتتسرع وتستجيب لتلك الدعوة فقالت: "لا، سوف أنظر أولا وأرى إذا كانت الزجاجة تحمل علامة"سم" أو لا"؛ إذ سبق لها أن قرأت قصصا عديدة عن الأطفال الذين تعرضوا للحرق أو الذين التهمتهم الوحوش وكائنات مخيفة أخرى، وكل ذلك لأنهم لم يتذكروا القواعد البسيطة التى علمهم إياها أصدقاؤهم؛ فمثلا، إذا أمسكتم القضيب الحديدى الذى يستخدم فى تحريك جمرات الفحم فى المدفأة لوقت طويل سيحرقكم؛ وأنه لو جرح إصبعكم جرحا عميقا جدا



بسكين فسينزف؛ وهى لم تنس جرح إصبعكم جرحا عميقا جدا بسكين فسينزف؛ وهى لم تنس قط أنه إذا شرب أحد من زجاجة كتب عليها كلمة "سم"، فإن ذلك سيؤذيه بالتأكيد، عاجلا أم آجلا. إلا أن هذه الزجاجة لم يكتب عليها كلمة "سم" وهكذا غامرت أليس وتنوقتها وعندما وجدت أن طعمها لذيذ جدا (فهو مزيج من نكهة تورتة الكرز، والكاسترد، والديك الرومى المحمر، وحلوى الطوفى، والخبز المحمص الساخن بالزبد)، شربت كل ما فيها.

ثم قالت أليس: "يا له من شعور غريب ! إنى أنغلق مثل التلسكوب".

وهذا ما جرى فعلا؛ إذ أصبحت الآن بطول عشر بوصات وقد أشرق وجهها إزاء فكرة أنها الآن فى الحجم المناسب للخروج من الباب

الصغير إلى تلك الحديقة الجميلة. ولكنها انتظرت دقائق قليلة لترى إن كانت ستتقلص أكثر وقد أحست بشيء من الاضطراب بشأن ذلك فقالت فى نفسها: "يمكن أن ينتهى الأمر(كما تعلم يا عزيزى القارئ) باختفائى تماما مثلما تنطفئ الشمعة. فكيف سأبدو حينذاك؟" وحاولت أن تتخيل كيف يبدو لهيب الشمعة بعد أن تنطفئ، لأنها لم تستطع أن تتذكر أنها رأت ذلك قط.

وبعد فترة وجيزة وبعدما وجدت أنها لم تصغر أكثر من ذلك قررت الذهاب إلى الحديقة فى الحال؛ ولكن يا لأليس المسكينة! فعندما وصلت للباب اكتشفت أنها نسيت المفتاح الذهبى الصغير وعندما عادت إلى المائدة لكى تأتى به وجدت أنه يستحيل عليها أن تصل إليه. كانت تراه بوضوح عبر الزجاج فحاولت قدر استطاعتها أن تتسلق إحدى أرجل المائدة ولكنها كانت زلقة جدا"؛ وعندما أجهدت من تكرار المحاولة، جلست المسكينة وأخذت تبكى.

ثم قالت فى نفسها بحزم: "لا جدوى من البكاء هكذا! أنصحك بأن تكفى عن هذا فورا"، فأليس عادة تقدم لنفسها نصائح جيدة جدا (مع أنها نادرا ما كانت تتبعها) وأحيانا كانت تنهر نفسها بحدة بالغة حتى إنها تبدأ فى البكاء، وذات مرة تذكرت محاولة ضرب أذنيها بنفسها لأنها غشت أثناء لعبة الكروكيه التى كانت تلعبها ضد نفسها، فهذه الطفلة الغريبة كانت مولعة جدا بالتظاهر بأنها شخصان. لكنها قالت لنفسها:

"لن أجنى أية فائدة الآن إن تظاهرت بأننى شخصان! فكل ما تبقى من حجمى لا يكفى لأكون شخصا متكاملا واحدا".

وسرعان ما وقعت عيناها على صندوق زجاجى صغير كان موضوعا تحت المائدة ففتحته ووجدت فيه كعكة صغيرة جدا كتبت عليها كلمة: "كلى" بحروف من الفاكهة المجففة (الزبيب) بشكل رائع؛ فقالت أليس: "حسنا، سآكلها، وإذا جعلتنى أنمو أكثر سأتمكن من الوصول إلى المفتاح وإذا ما جعلتنى أصغر أكثر سأستطيع الزحف من تحت الباب، وبأى من الطريقتين سأصل إلى الحديقة، ولن يهمنى ما يحدث لى بعد ذلك!".

وهكذا تناولت أليس قطعة صغيرة من الكعكة وقالت لنفسها بلهفة: "ماذا سيحدث؟ ماذا سيحدث؟ هل سأكبر أم سأصغر؟" ووضعت يدها على قمة رأسها لكى تتحسس فى أية اتجاه يتطور نموها وقد اشتدت دهشتها عندما وجدت أنها بقيت فى الحجم ذاته! بالتأكيد، هذا ما يحدث عموما عندما يأكل المرء الكعك، ولكن أليس بالغت فى توقعها لعدم حدوث أى شىء سوى الأمور الغريبة، فقد بدا أنه من قبيل الملل والسخف أن تستمر الحياة بهذه الطريقة المعتادة.

وهكذا أخذت تأكل الكعكة حتى التهمتها كلها.

الفصل الثانى

بركـــة الدمـــــوع

هتفت أليس: "يا للغربة! يا للغربة!" (فقد بلغ شعورها بالدهشة آنذاك مبلغا جعلها تنسى كيف تنطق بلغة سليمة، فقالت"الغربة" بدلا من"الغرابة") الآن أنا أنفتح مثل أكبر تلسكوب! وداعا يا قدميَّ! لأنها حينما نظرت إلى قدميها بدا أنهما توارتا عن الأنظار تقريبا؛ إذ كانتا بعيدتين جدا. أوه يا قدميَّ الصغيرتين المسكينتين أتساءل من سيلبسكما الجوارب والحذاء الآن يا عزيزتي؟ أنا متأكدة من أننى سأعجز عن ذلك! سأكون بعيدة جدا لكى أشغل نفسى بكما! عليكما تدبر أمركما قدر ما يمكنكما – لكن عليَّ أن أكون لطيفة معهما" وإلا لن تمشيا حيثما أريد أن أذهب! دعونى أفكر: سأقدم لهما زوجا جديدا من الأحذية فى كل عيد ميلاد"، ومضت تتخيل كيف ستتدبر أمر القيام بذلك: "لابد أن ترسل لهما الهدايا بالبريد وكم سيبدو مضحكا إرسال هدايا لقدميَّ! وكم سيبدو العنوان غريبا!



السيدة المحترمة قدم أليس اليمنى

شارع السجادة

بالقرب من المدفأة

مع حبى،

أليس.

يا لها من تخاريف!"

وحينذاك ارتطم رأسها بسقف القاعة. ففى واقع الأمر تجاوز طول أليس الآن أكثر من تسعة أقدام، فأخذت المفتاح الذهبى الصغير فى الحال وأسرعت إلى باب الحديقة.

مسكينة أليس! فكل ما استطاعت أن تفعله هو الاستلقاء على جنبها حتى تتمكن من النظر إلى الحديقة بعين واحدة وأصبح الخروج مستحيلا؛ فجلست وأخذت تبكي مجددا.

ثم عاتبت أليس نفسها قائلة: "عليك أن تخجلي من نفسك (وكانت على حق)؛ فأن تستمر فتاة كبيرة مثلك في البكاء على هذا النحو لهو شيء مخجل حقا! إني آمرك أن تتوقفي فورا!" إلا أنها واصلت البكاء وذرفت جالونات من الدموع إلى أن تكونت بركة ضخمة حولها بعمق أربع بوصات تقريبا وملأت نصف القاعة.

وبعد وقت قصير سمعت وقع أقدام صغيرة سريعة عن بعد فجففت دموعها بسرعة؛ لكي ترى من القادم فإذا به الأرنب الأبيض وقد عاد وهو يرتدي حلة رائعة ويحمل زوجين من القفازات المصنوعة من جلد الماعز بيد ومروحة ضخمة باليد الأخرى، وكان يجري بسرعة فائقة متمتما



لنفسه: "أواه! الدوقة، الدوقة! أواه! ستثور ثائرتها إن تركتها تنتظر!" وأحست أليس برغبة شديدة فى طلب النجدة، وعندما اقترب الأرنب منها همست بصوت منخفض وخجول: "لو سمحت، يا سيدى" إلا أن الأرنب انتفض وأسقط القفازات والمروحة وجرى بعيدا بأسرع ما فى استطاعته وسط الظلام.

التقطت أليس المروحة والقفازين، وبما أن القاعة كانت حارة جدا فقد استخدمت المروحة طوال الوقت وهى تقول: "يا له من شىء غريب! كل أحداث اليوم غريبة! دعونى أفكر... هل كنت على ما أنا عليه عندما نهضت هذا الصباح؟ أظننى شعرت أننى مختلفة قليلا ولكنى لو لم أكن على ما أنا عليه، فالسؤال التالى هو: من أكون إذن؟ آه، تلك هى المشكلة الكبرى!" وبدأت تتذكر الأطفال الذين عرفتهم والذين فى مثل سنها، لترى ما إذا كانت قد تحولت وأصبحت واحدة منهم.

ثم قالت :"إنى متأكدة أننى لست آدا فشعرها ينسدل فى خصلات مجعدة وطويلة لكن شعرى أنا ليس مجعدا على الإطلاق، كما أننى متأكدة أيضا أننى لا يمكن أن أكون ميبل فأنا أعرف أمورا كثيرة متنوعة، أما هى أوه! فلا تعرف إلا القليل! إضافة إلى ذلك، فهى هى، وأنا أنا، أواه - يا إلهى، إن الأمر معقد للغاية! سأحاول أن أكتشف ما إذا كنت لا أزال أعرف الأمور التى كنت أعرفها. دعونى أرى: أربعة فى خمسة تساوى اثنتى عشرة، وأربعة فى ستة تساوى ثلاث عشرة

وأربعة فى سبعة تساوى - ياإلهى! لن أبلغ رقم عشرين أبدا على هذا النحو! ولكن جدول الضرب لا يدل على شىء؛ لنجرب الجغرافيا. لندن هى عاصمة باريس،وباريس هى عاصمة روما، وروما - لا، هذا كله خطأ، أنا متأكدة! لابد أننى تحولت إلى ميبل! سأجرب أن أقول "كيف يمكن" وشبكت يديها على حجرها وكأنها تُسمِّع الدروس، وبدأت تردد ذلك، إلا أن صوتها بدا خشنا وغريبا، ولم تستطع نطق الكلمات مثلما اعتادت فبدت هكذا:

ديلك يا تمساح يا صغير

لونه بيلمع وبيتغير

وهو فى النيل بيعوم

وانت يا تمساح بفكك

بتاكل كل السمكمك

إلا أن أليس المسكينة قالت: "إنى متأكدة أنها ليست الكلمات الصحيحة" وقد اغرورقت عيناها بالدموع مرة ثانية وهى تتابع الكلام: "لابد أننى ميبل رغم كل شىء، وسيكون علىّ أن أذهب وأعيش فى ذلك البيت الصغير الخالى من اللعب، بالإضافة إلى كثرة الدروس التى علىّ أن أذاكرها! لا لن أقبل ذلك فإن أصبحتُ ميبل فالأفضل أن أبقى فى

الأسفل هنا! ولن يجدى نفعا أن يطلوا برؤوسهم ويقولوا: "اصعدى ثانية يا عزيزتى، فسأقول لهم من أنا إذن؟ أخبرونى بذلك أولا، ولو أحببت أن أكون ذلك الشخص، فسأصعد؛ وإن لم أفعل، فسوف أبقى فى الأسفل هنا إلى أن أصبح شخصا آخر" - لكن، ياإلهى!" صاحت أليس وقد انفجرت فى البكاء فجأة: "أتمنى فعلا إن فعلوا! إذ ضقت ذرعا من بقائى بمفردى هنا!"

وعندما قالت هذا، تطلعت إلى يديها، واندهشت حين وجدت أنها وضعت أحد قفازى الأرنب البيضاوين الصغيرين وهى مندمجة فى الكلام ثم أخذت تفكر..."كيف تمكنت من ذلك؟ لابد أننى أتقلص فى الحجم ثانية". وذهبت إلى المائدة لكى تقيس نفسها بها، ووجدت، حسبما استطاعت أن تخمن تقريبا، أن طولها الآن يبلغ حوالى قدمين، وأنها سوف تتقلص بسرعة؛ وسرعان ما اكتشفت أن سبب هذا هو المروحة التى كانت تمسكها، فألقت بها بسرعة، ولحسن الحظ فعلت ذلك فى الوقت المناسب لتنقذ نفسها من التقلص كليا".

ثم قالت أليس وقد أصابها خوف شديد إزاء التغيير المفاجئ: "لقد نجوت بأعجوبة!" إلا أنها فرحت لاكتشاف أنها لا تزال على قيد الحياة فقالت: "والآن إلى الحديقة!" جرت بسرعة فائقة نحو الباب الصغير إلا أنه للأسف الشديد كان مغلقا! ولأن المفتاح الذهبى الصغير كان فوق

المائدة الزجاجية كما كان فقد أصبح الموقف أكثر سوءا مما سبق. وأخذت الطفلة الصغيرة تقول: "لم أكن بهذا الحجم الصغير من قبل قط! وهذا وضع سيئ جدا!"

وما أن نطقت بتلك الكلمات حتى زلت قدمها :... طش! وغرقت فى مياه مالحة حتى ذقنها. وكان أول ما تبادر إلى ذهنها هى أنها سقطت بطريقة ما فى البحر، فقالت فى نفسها: "وفى تلك الحالة، يمكننى العودة بواسطة القطار"(فقد سبق أن ذهبت أليس إلى شاطئ البحر مرة واحدة فى حياتها، وقد توصلت إلى استنتاج أنك حيثما تذهب إلى الساحل الإنجليزى فإنك ستجد عددا من أكشاك تغيير الملابس، وبعض الأطفال الذين يحفرون فى الرمل، وصفا من البيوت السكنية، ومن خلفها محطة قطار)، ولكنها سرعان ما أدركت أنها فى بركة من الدموع التى ذرفتها عندما كان طولها تسعة أقدام.



وقالت أليس وهى تسبح محاولة أن تشق طريقها خارج تلك البركة: "يا ليتنى لم أبك كثيرا هكذا! أظن أننى سأعاقب على ذلك الآن بالغرق فى دموعى! سيكون هذا أمرا غريبا! مثله مثل كل شيء اليوم".

وحينئذ سمعت شيئا يغطس فى البركة على مسافة صغيرة منها، فسبحت قريبا منه لترى ما هو. فى البداية ظنت أنه لابد أن يكون كلب البحر أو فرس النهر، ولكنها تذكرت صغر حجمها الآن، وسرعان ما أدركت أنه مجرد فأر انزلق فى البركة مثلها.

أخذت أليس تفكر..."هل سيكون الكلام مع هذا الفأر مفيدا الآن؟ إن كل شيء هنا خارج عن المألوف حتى إننى أعتقد أن الفأر سيستطيع الكلام فما من ضرر من المحاولة." وهكذا بدأت تقول :"أيها الفأر، هل تعرف طريقا للخروج من هذه البركة؟ فأنا منهكة جدا من السباحة هنا؟" (ظنت أليس أن هذه أنسب طريقة للتحدث إلى الفأر؛ إذ لم يسبق لها أن فعلت شيئا مماثلا من قبل، لكنها تذكرت أنها قرأت هذا الاسم فى كتاب النحو الخاص بأخيها، و كان ذلك الاسم معربا فى كل أحواله "فأر – يفر – إلى فأر – فأر أيها الفأر!") نظر الفأر إليها مندهشا وبدا لها أنه يغمز بعين من عينيه الصغيرتين ولكنه لم يقل شيئا.

أخذت أليس تفكر..."ربما لا يفهم الإنجليزية، أعتقد أنه فأر فرنسى جاء مع وليم الفاتح" (غير أن أليس رغم كل معرفتها بالتاريخ، لم تكن لديها أية فكرة واضحة كم من الزمن مضى على حدوث أى شيء) وهكذا

بدأت تقول: "أين قطتي؟" إنها أول جملة فى كتابها المدرسى للغة الفرنسية. وفجأة، قام الفأر بقفزة مفاجئة خارج المياه وبدا أنه يرتعد خوفا؛ فصاحت أليس على الفور وهى تخشى أنها قد آذت مشاعر الحيوان: "أوه، أرجوك سامحني! لقد نسيت أنك تبغض القطط".

انفعل الفأر ورد بصوت حاد: "أبغض القطط! وهل كنت تحبينها لو كنت مكاني؟"

قالت أليس بصوت رقيق كى تبعث الطمأنينة فى نفس الفأر: "حسنا، ربما لا. لا تغضب بشأن ذلك، ومع ذلك أتمنى لو أستطيع أن أريك قطتى دينا أظن أنك ستحب القطط إن رأيتها، فهى قطة جميلة هادئة"، وتابعت أليس القول وهى تسبح بكسل فى البركة: "ما أجمل دينا وهى تجلس تخرخر بلطف بالقرب من المدفأة وتلعق مخالبها وتنظف وجهها - أما ملمسها فهو ناعم جدا تشعر به وأنت تحتضنها - وهى أيضا ماهرة جدا فى صيد الفئران - أوه، أرجوك اعذرني!" صاحت أليس ثانية، لأن شعر الفأر حينئذ كان قد انتصب كله، فشعرت أنه انزعج للغاية فقالت: "لن نتحدث عنها أبدا إذا كنت تفضل ذلك".

صاح الفأر الذى كان يرتعد حتى طرف ذيله: "لا! لن أتحدث فى هذا الموضوع! فطالما أحست عائلاتنا بالكراهية تجاه القطط: تلك الحيوانات الرديئة المنحطة السوقية! لا تدعينى أسمع اسمها ثانية!"

وأجابت أليس بسرعة لكى تغير موضوع الحديث: "لن أفعل ذلك بالتأكيد!" هل تحب- هل أنت تحب الكلاب؟" لم يجب الفأر، فتابعت أليس كلامها بحماس: "هناك كلب صغير لطيف بالقرب من بيتنا أحب أن أريه لك! إنه كلب صيد صغير له عينان براقتان وذو شعر بنى طويل مفتول! وهو يجلب الأشياء عندما ترمى بها، ويجلس منتصبا عندما يلح فى طلب غذائه، ويفعل أشياء أخرى كثيرة - أعجز عن تذكرها كلها - وصاحبه فلاح ويقول إنه مفيد جدا، وتساوى قيمته مئة جنيه! فهو يقول إنه يفتك بكل الفئران و - أواه، يا إلهى! صاحت أليس بنبرة آسفة: "أخشى أن أكون قد أزعجت الفأر مجددا!" لأن الفأر كان يسبح بعيدا عنها بأقصى ما يمكنه من قوة، محدثا اضطرابا" كبيرا" فى البركة وهو يسبح.



فنادته أليس برقة قائلة: "يا عزيزى الفأر! عد ثانية، ولن نتحدث عن القطط أو عن الكلاب إن لم تكن تحبها!" عندما سمع الفأر هذا، استدار وسبح ببطء عائدا إليها وكان وجهه شاحبا (فكرت أليس أنه من جراء شدة الغضب) وقال بصوت منخفض مرتعش: "هيا نسبح إلى الشاطئ وسأحكي لكِ عن نفسي وسوف تفهمين لماذا أكره القطط والكلاب".

كان لابد لهما أن يتركا البركة فقد بدأت تزدحم بالطيور والحيوانات؛ فكان منها البطة وطير الدودو وببغاء صغير ونسر وعدة مخلوقات غريبة أخرى. تقدمت أليس وسبحت المجموعة كلها إلى الشاطئ وراءها.

الفصل الثالث

سباق سياسى وحدوتة طويلة



إنها حقا مجموعة غريبة تلك التى اجتمعت عند الشاطئ -فمنها الطيور وقد اتسخ ريشها بسبب جرها على الأرض، والحيوانات وقد التصق الفراء بأجسادها، وجميعها كانت فى حالة من الإرهاق والغضب من شدة البلل.

وكان السؤال الأول هو كيف تجفف أنفسها مرة أخرى، فتشاورت في ذلك الأمر وبعد دقائق بدا عاديًا لأليس أن تجد نفسها تتحدث بشكل طبيعي مع الحيوانات، وكأنها تعرفها طوال حياتها. وكانت لها مشادة طويلة مع الببغاء لورى الذى تجهم وجهه ولم يقل سوى: "أنا أكبر منك سنا، ولابد أننى أعرف أكثر؛ وهذا ما لم تقبله أليس دون أن تعرف كم يبلغ من العمر، وعندما رفض أن يفصح عن سنه لم تكمل الحديث معه.

وأخيرا، نادى الفأر الذى بدا أنه مخلوق ذو سلطة بينهم قائلا: "اجلسوا جميعا وأصغوا إليّ! سوف أجففكم فى الحال!" جلست الحيوانات كلها فى الحال، فى حلقةٍ واسعة، وجلس الفأر فى الوسط. ركزت أليس عينيها عليه فقد شعرت أنها ستصاب ببرد إن لم تجف فى الحال.

قال الفأر بعجرفة: " إحم! هل الكل مستعد؟ إن هذا أمر غاية فى السهولة. الزموا الصمت جميعا، من فضلكم! إن الفاتح، الذى أيد البابا قضيته، سرعان ما خضع له الإنجليز الذين أرادوا أن يكون لهم قادة، إن أدوين وموركار نبيلىّ ميركيا ونورثمبريا كانوا معتادين قبل ذلك على اغتصاب العرش والسرقة. وكان-"أخ !" قال الببغاء لورى وهو يرتعد.

فقال الفأر عابسا، ولكن بأدب بالغ: "المعذرة! هل قلت شيئا؟"

فقال لورى على عجل: "لست أنا!"

قال الفأر :"ظننتك فعلت. سأبدأ من جديد. أعلن أدوين وموركار تأييدهما له، وحتى سيتغاند، أسقف كانتربري وجد أنه من الأفضل أن الشيء-"

قالت البطة :"وجد ماذا؟"

فأجاب الفأر بغضب: وجد"الشيء" طبعا تعرفين ما "الشيء"؟

فقالت البطة :"أعرف ماذا تعنيه كلمة"شيء" جيدا، فعندما أجد شيئا عموما يكون ذلك الشيء ضفدعة أو دودة . السؤال هو، ما الشيء الذي وجده الأسقف؟"

لم يكترث الفأر بهذا السؤال وتابع يقول: "وجد أن من المستحسن الذهاب مع إدغار آثلينغ لمقابلة وليم، وتقديم العرش له وكان تصرف وليم لطيفا في بادئ الأمر، و لكن الإهانات التي وجهها أتباعه النورمنديون – كيف حالك الآن يا عزيزتي؟" تابع يقول ملتفتا إلى أليس وهو يتحدث.

قالت أليس بنبرة حزينة: "مبللة كما كنت، لا يبدو أن حديثك يجففني على الإطلاق".

فقال طائر الدودو بوقار وهو ينهض واقفا: "في تلك الحالة، أقترح الافرنقاع إلى أجل غير مسمى في سبيل تبني تدابير أكثر فعالية".

قال النسر الصغير: "فليكن حديثك واضحا! إنى لا أفهم معنى نصف تلك الكلمات الغريبة، والأكثر من ذلك، أنا لا أصدقك أيضا! وما لبث أن حنى النسر الصغير رأسه ليوارى ابتسامة، فى حين أخذت بعض الطيور الأخرى تضحك ضحكات نصف مكتومة ولكنها مسموعة.

فقال طائر الدودو بنبرة منزعجة: "ما كنت أود قوله هو أن أفضل ما يجففنا هو سباق مؤتمر الحزب".

"ما سباق مؤتمر الحزب؟" قالت أليس وهى لا ترغب كثيرا فى معرفته، إلا أن طائر الدودو توقف وكأنما ظن أنه لابد لشخص ما أن يتحدث، ولم يبد أحد رغبة فى ذلك.

فقال طائر الدودو : " إن أفضل وسيلة لشرحه هو القيام به". (وبما أنك يا عزيزى القارئ قد ترغب فى تجربة هذا السباق بنفسك فى يوم من أيام الشتاء، فسأخبرك كيف قام طائر الدودو بالترتيب له).

وضع أولا مسار السباق على شكل دائرة (وقال إن الشكل السليم لا يهم)، ومن ثم اصطفت المجموعة كلها على طول وجهة السباق هنا وهناك، ولم يبدأ السباق بهتاف: "واحد، اثنان، ثلاثة، انطلاق" فقد كانت الحيوانات والطيور تجرى متى شاءت وتغادر السباق حينما رغبت، بحيث لم يكن سهلا أن تعرف متى انتهى السباق. ولكن عندما استمر فى الجرى مدة نصف ساعة تقريبا شعرت بالجفاف مرة ثانية ونادى طائر

الدودو فجأة قائلا: "انتهى السباق!" واحتشدت كلها حوله، تلهث وتسأل: "ولكن من الذى فاز؟"

لم يتمكن طائر الدودو من الإجابة عن هذا السؤال دون تفكير عميق والضغط لوقت طويل بإصبعه على جبينه (إنه الوضع الذى ترى فيه عادة شكسبير فى الصور)، فى حين انتظر الباقون فى صمت وأخيرا" قال طائر الدودو : "لقد فاز الجميع، والجميع سينال الجوائز".

فسأل كورس من الأصوات : " لكن من الذى سيقدم الجوائز؟"

"هى طبعا" قال طائر الدودو وهو يشير إلى أليس بإصبعه؛ وفى الحال تجمهرت المجموعة بأكملها حولها، تنادى بطريقة عشوائية: "جوائز! جوائز!"

لم تكن لدى أليس أية فكرة عما ستفعله، وبيأس وضعت يدها فى جيبها فوجدت علبة فاكهة مجففة (لحسن الحظ لم تتسلل إليها المياه المالحة) فوزعت الفاكهة بوصفها جوائز، وكانت هناك قطعة واحدة لكل من الحيوانات والطيور .

قال الفأر: "لكن يجب أن تنال هى أيضا جائزة، كما يعلم الجميع".

فرد طائر الدودو بجدية بالغة: "طبعا" ثم تابع يقول وهو يستدير نحو أليس: "ماذا لديك فى جيبك أيضا؟"

فقالت أليس بأسى :"لدى فقط كُشتبان".

قال طائر الدودو :"ضعيه هنا".

وبعد ذلك احتشد الجميع حولها مرة ثانية، وقام طائر الدودو بتقديم الكشتبان إليها وهو يقول:"نرجو قبولك لهذا الكشتبان الأنيق"، وعندما أنهى هذا الخطاب المختصر، أخذت جميع الحيوانات والطيور تهتف فرحة.



رأت أليس أن كل ما حدث سخيف جدا، والحيوانات والطيور بدت فى غاية الجدية فلم تجرؤ على الضحك، وبما أنها لم تستطع أن تفكر فى شىء تقوله، فقد انحنت ببساطة وأخذت الكشتبان، محاولة أن تبدو جادة قدر المستطاع.

وتلا ذلك تناول الفكاهة المجففة مما تسبب فى إحداث شىء من الفوضى والارتباك، فالطيور الضخمة اشتكت أنها لا تستطيع تذوق نصيبها من الفاكهة، فى حين اختنقت الطيور الصغيرة وكان على زميلاتها ضربها على ظهورها ضربا خفيفا. وأخيرا" انتهى كل ذلك فجلست جميع الحيوانات والطيور فى دائرة مرة أخرى، وتوسلت إلى الفأر لكى يخبرها بالمزيد.

فبادرت أليس تقول: "تعلم إنك وعدت أن تخبرنى عن نفسك" ثم أضافت بهمس، وهى شبه خائفة من أن تزعجه ثانية: "لماذا تبغض الق.. والكلا...".

قال الفأر وهو يلتفت إلى أليس متنهدا :"إن حكايتى طويلة وحزينة مثلها مثل ذيلى[١]".

فقالت أليس وهى تنظر باستغراب إلى ذيل الفأر: "إنه ذيل طويل بالتأكيد ولكن لماذا تقول إنه حزين؟" وقد بقيت تفكر فى ذلك والفأر يتحدث، فألفت هذه القصة:

الغضب

---

(١) ترتب السطور على هيئة ذيل الفأر. انظر الأصل. Tail/tale

قال للفار
لما قابله
فى الدار:
تعال نروح
للقاضى
أنا النهاردة
قاضى
رد الفار وقال:
بلاش
كلام
فاضى
هو فين
القاضى؟
رد الغضب وقال
أنا القاضى
وح حكم
عليك بالموت
فى الحال

قال الفأر لأليس بحدة : إنك لا تصغين إلىّ! فيم تفكرين؟"

قالت أليس بتواضع بالغ: "آسفة جدا. هل وصلت إلى العقدة[٢] الخامسة؟"

(٢) العقدة بمعنى المشكلة أو النفى.

صاح الفأر بحدة وبغيظ شديد: "لا أعتقد ذلك!".

قالت أليس:"تعتقد، لديك عقدة" دعنى أساعدك فى حلها!"

قال الفأر وهو ويمشى بعيدا: "لن أقوم بأى شيء من هذا القبيل، أنت توجهين الإهانة إلىّ بكلامك السخيف هذا!"

توسلت إليه أليس المسكينة قائلة: "لم أقصد ذلك! لكنك تغضب بسرعة شديدة".

زمجر الفأر فقط ردا على ذلك.

نادته أليس قائلة: "أرجوك أن تعود وتكمل قصتك!" وانضم الجميع فى كورس:"نعم، أرجوك افعل!" إلا أن الفأر هز رأسه وقد نفد صبره ومشى فى خطى سريعة مبتعدا.

وتنهد الببغاء لورى عندما اختفى الفأر عن الأنظار قائلا: "من المؤسف أنه لم ينتظر!" واستغلت الكابوريا الفرصة لتقول لابنتها:"آه، يا عزيزتى! ليكن هذا درسا لكِ كيلا تفقدى صبرك أبدا"، فأجابت الصغيرة بفظاظة: "أمسكى لسانك يا أمى؛ فأنت لديك القدرة على استفزاز صبر محارة!"

وقالت أليس بصوت مرتفع: "كم أتمنى لو أن قطتى دينا معى هنا! كانت ستصيده فى أسرع وقت!"

وسألها الببغاء :"ومن هي دينا، إن جاز لي أن أسألك؟"

فأجابت أليس بلهفة؛ لأنها كانت دائما مستعدة للحديث عن قطتها الحبيبة: "دينا هي قطتي، وهي قطة ماهرة في صيد الفئران، بشكل لا تتخيله! آه! كم أتمنى لو تراها وهي تطارد الطيور، فإنها تلتهم العصفور الصغير فور وقوع بصرها عليه!"

تسبب هذا الحديث في فوضى كبيرة بين المجموعة؛ إذ هرعت بعض الطيور لتغادر بسرعة، فبدأ طائر العقعق العجوز يلف نفسه بعناية بالغة وهو يقول: "يجب أن أنطلق عائدا إلى البيت؛ إذ إن هواء الليل يضر حنجرتي!" كما نادى عصفور الكناري صغاره بصوت مرتعش قائلا: "هيا نذهب يا أعزائي! فقد حان وقت النوم!"، وهكذا انصرف الجميع مختلقين أعذارا مختلفة، وبقت أليس بمفردها فقالت في نفسها بنبرة حزينة: "يا ليتني لم أذكر دينا على الإطلاق! فما من أحد يحبها هنا، مع أنني متأكدة أنها أعظم قطة في العالم! آه! يا عزيزتي دينا! هل سأراك مرة أخرى!" وبدأت أليس تبكي مجددا؛ لأنها أحست بوحدة شديدة وبالاكتئاب. ولكن بعد وقت قصير سمعت وقع أقدام صغيرة، فتطلعت بلهفة والأمل يداعبها أن يكون الفأر قد غيّر رأيه وعاد لكي ينهي قصته.

الفصل الرابع

الأرنب يبعث برسالة صغيرة

ترامى إلى سمع أليس صوت أقدام الأرنب الأبيض الذى عاد مرة أخرى بخطوات بطيئة، وهو يتلفت حوله بقلق كأنه فقد شيئا، وسمعته أليس يتمتم لنفسه: "الدوقة! الدوقة! يا قفازى العزيزين! يا فرائى! ويا شواربى! سوف تأمر بإعدامى، وهذا أمر مؤكد! تُرى أين يمكن أن أكون قد فقدتهما؟" اعتقدت أليس للحظة أنه يبحث عن المروحة وعن زوج القفازين البيضاوين المصنوعين من الجلد، وبنية طيبة للغاية بدأت تبحث له عنهما، لكنها لم تعثر عليهما فى أى مكان - فقد تغير كل شىء منذ كانت تسبح فى البركة كما اختفت القاعة الضخمة والمائدة الزجاجية والباب الصغير تماما.

وسرعان ما انتبه الأرنب لأليس وهى منشغلة بالبحث حولها فناداها بصوت غاضب:"عجبا يا مارى أن، ما الذى تفعلينه هنا؟ أسرعى إلى البيت فورا وأحضرى لى القفازين والمروحة! بسرعة اذهبى الآن!".

أصيبت أليس بخوف شديد جدا فجرت إلى الناحية التى أشار الأرنب إليها، دون أن تحاول أن توضح له الخطأ الذى ارتكبه.

وحدثت نفسها وهى تجرى قائلة: "لقد اعتقد أننى خادمته. كم سيندهش عندما يكتشف من أنا! ولكن من الأفضل أن آتى له بمروحته وقفازيه - هذا طبعا إن استطعت العثور عليهما".

وما أن قالت ذلك حتى وصلت إلى بيت صغير جميل منسق المظهر على بابه لوحة نحاسية لامعة محفور عليها اسم "و.أرنب". دخلت البيت دون أن تقرع الباب وأسرعت تصعد السلم فى خوف شديد؛ كيلا تلتقى بمارى آن الحقيقية وتطرد من البيت قبل أن تعثر على المروحة والقفازين.

وقالت أليس فى نفسها: "كم يبدو غريبا أن أنفذ أوامر أرنب! أتوقع أن تفعل دينا الشىء نفسه بعد ذلك! وبدأت تتخيل ما يمكن أن يحدث: "آنسة أليس! تعالى هنا مباشرة، واستعدى لنزهتك!" "سمعا و طاعة سأحضر فى خلال دقيقة واحدة! ولكننى يجب أن أراقب جحر الفأر للتأكد من أنه لن يخرج"، ثم تابعت أليس تفكر..." لا أعتقد أنهم سيسمحون لدينا بالبقاء فى البيت لو بدأت تصدر الأوامر على هذا النحو!"

وفى ذلك الوقت كانت أليس قد وصلت إلى غرفة صغيرة مرتبة فيها مائدة عند النافذة، وفوقها (كما كانت أليس تأمل) مروحة وزوجا

القفازات وكانت على وشك أن تغادر الغرفة عندما وقعت عيناها على زجاجة صغيرة كانت بالقرب من المرآة، ولم تكن عليها أية بطاقة تقول "اشربى" هذه المرة، ولكن رغم ذلك، نزعت الغطاء ورفعتها إلى شفتيها، ثم قالت لنفسها: "أعرف أن شيئا مثيرا سيحدث بالتأكيد إن أكلت أو شربت شيئا، لذا سأرى مفعول هذه الزجاجة. أتمنى أن تجعلنى أنمو وأكبر ثانية؛ لأننى حقا مللت من كونى مخلوقة صغيرة جدا هكذا!"

وتحقق ذلك بسرعة أكبر مما توقعت؛ فقبل أن تتجرع نصفها، وجدت رأسها يضغط على السقف، فانحنت لكى تنقذ عنقها من الكسر.

ثم تركت الزجاجة من يدها وقالت لنفسها: "هذا كاف - آمل ألا أكبر أكثر من ذلك فإن حجمى الآن لن يسمح لى بالخروج من الباب - أتمنى لو أننى لم أشرب كل هذا القدر!"

ولكن ولشدة الأسف تأخرت أمنية أليس! إذ ظلت تكبر وتكبر، وسرعان ما اضطرت أن تركع على الأرض، ومرت دقيقة أخرى فلم يعد هناك مكان يسمح لها بالانحناء فحاولت أن تستلقى على الأرض وتسند كوعها على الباب وتلف ذراعها الأخرى حول رأسها. ولكنها ظلت تكبر، وفى محاولة أخيرة للنجاة، وضعت ذراعا خارج النافذة ورفعت قدمها فى المدخنة وقالت لنفسها: "الآن لا يمكننى أن أفعل المزيد، ولكن ما الذى سيحل بى؟"



لحسن حظ أليس، بلغ تأثير الزجاجة السحرية الصغيرة مداه فتوقفت عن النمو ومع ذلك كان الوضع غير مريح بالمرة، مما جعلها تشعر بالتعاسة لأنه لم يتبق لها أى فرصة للخروج من الغرفة.

وذار فى خاطرها ما يلى:"إن الوضع فى البيت أحسن بكثير؛ حيث إن الإنسان لا يكبر ولا يصغر ولا يتلقى أوامر من فئران وأرانب. كم أتمنى لو أننى لم أسقط فى جحر الأرنب هذا فالحياة هنا غريبة الأطوار. ترى ماذا سيحدث لى! فعندما كنت أقرأ القصص الخرافية لم أصدق أن هذه الأشياء يمكن حدوثها، والآن ها أناذا فى أحد تلك المواقف! لابد أن يؤلف كتاب عنى، لابد أن يحدث ذلك! وعندما أكبر، سأكتبه أنا- ولكننى الآن قد كبرت بالفعل"، ثم أضافت بنبرة حزينة:"على الأقل لم يعد هناك

مجال للنمو أكثر من ذلك. فهل يعنى ذلك أننى لن أكبر أكثر مما أنا عليه الآن؟ سيكون هذا مصدر ارتياح - فلن أصبح عجوزا أبدا - لكن فيما بعد - سيكون علىّ الاستذكار دائما! آه! لن أحب ذلك!"

إلا أنها أجابت على نفسها قائلة: "آه! كم أنت غبية يا أليس! كيف تستطيعين أن تتعلمى الدروس هنا؟ كيف؟ يتوفر مكان لك هنا بالكاد، ولا مجال على الإطلاق للاحتفاظ بأية كتب!"

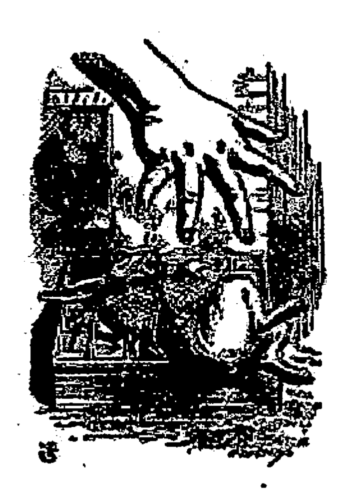
وهكذا استمرت أليس تجادل نفسها حتى سمعت صوتا فى الخارج، فتوقفت عن الكلام لكى تنصت.

سمعت صوتا يقول:"مارى آن! مارى آن! أعطنى قفازى فورا!" ثم سمعت وقع أقدام صغيرة سريعة على السلم. عرفت أليس أنه الأرنب وقد أتى ليبحث عنها، فارتعشت حتى اهتز البيت، ناسية تماما أنها الآن أكبر من الأرنب بألف مرة، وليس هنالك أى سبب يدعوها للخوف منه.

ووصل الأرنب إلى الباب، وحاول أن يفتحه، ولكن، عندما انفتح الباب إلى الداخل، ضغطت أليس بكوعها عليه بقوة ففشلت محاولته. سمعته أليس يقول لنفسه: "إذن سأدور وأدخل من النافذة".

ولكن أليس قالت فى نفسها: " لن أسمح لك بذلك!" وانتظرت إلى أن خيل إليها أن الأرنب تحت النافذة فمدت يدها فجأة وحاولت الإمساك بشىء فى الهواء. ولكنها لم تمسك بشىء وسمعت صرخة صغيرة وصوت

سقوط وارتطام زجاج، فاستنتجت أن يكون الأرنب قد وقع فى قفص زراعة الخيار أو شىء من هذا القبيل.



تلا ذلك صوت غاضب – صوت الأرنب –"بات! بات! أين أنت؟" وتبعه صوت لم يسبق لها أن سمعته: "أنا هنا! أحفر باحثة عن التفاح! يا صاحب السعادة!"

فقال الأرنب غاضبا: "تحفرين باحثة عن التفاح، حقا! هيا! تعالى وساعدينى فى الخروج من هذا المأزق!" (أصوات تهشم المزيد من الزجاج) "وقولى لى يا بات، ما هذا الشىء الظاهر خارج النافذة؟"

أجابت بات: "إنها ذراع، معاليكم!" ("ذراع")

فرد الأرنب: "ذراع أيتها الحمقاء! من رأى ذراعا بهذا الحجم؟ إنها تملأ النافذة بكاملها!"

وافقته بات قائلة: "بالتأكيد سيادتكم ولكنها ذراع رغم كل ذلك".

فأمرها الأرنب قائلا: "على أية حال لا مكان لها هنا خذيها بعيدا!"

ساد صمت طويل بعد ذلك، ولم تستطع أليس أن تسمع شيئا سوى همسات من وقت لآخر؛ مثل: "بالتأكيد، لا يعجبنى سيادتكم، لا، لا!". "افعل ما أقوله لك، أيها الجبان!" وأخيرا فردت ذراعها ثانية وحاولت التقاط شيء ما فى الهواء. وحينئذ صدرت صيحتان صغيرتان، ومزيد من أصوات تهشم زجاج. ففكرت أليس: "كم هو كبير عدد أقفاص زراعة الخيار! أتساءل ما الذى سيفعلونه بعد هذا! أتمنى أن يستطيعوا سحبى من النافذة! فأنا لا أرغب فى البقاء هنا أكثر من ذلك!"

انتظرت فترة من الوقت دون أن تسمع المزيد وأخيرا صدرت قعقعة عجلات عربة صغيرة، وأصوات كثيرة جدا تتحدث كلها فى الوقت نفسه وقد ميزت عبارات مثل: "أين السلم الآخر؟ بالطبع لم أجلب سوى واحد فالآخر مع بيل – بيل! أحضره إلى هنا يا ولد! – هنا، ضعه عند هذه الزاوية لا، اربطهما معا أولا – إنها لا تصل حتى منتصف الارتفاع بعد – أوه! إنها تفى بالغرض تماما؛ لا تدقق – هنا" يا بيل! أمسك بهذا الحبل – هل يتحمل السقف؟ انتبه إلى اللوح الخشبى – أوه، إنه يسقط مباشرة إلى الأسفل!" (صوت يرتفع لشيء يتهشم) –" من فعل ذلك،

الآن؟ أتخيل أنه بيل - من سينزل في المدخنة؟ لا، لن أفعل! افعل أنت ذلك! - هذا ما لن أفعله، إذن! على بيل أن ينزل - هيا يا بيل ! يقول السيد إن عليك أن تنزل في المدخنة!"

قالت أليس في نفسها: "آه، إذن على بيل أن ينزل في المدخنة، أليس كذلك؟ عجبا، يبدو أنهم يضعون كل شيء على كاهل بيل! لن أرضى أن أكون في مكان بيل مهما بلغ الثمن. إن هذه المدفأة ضيقة، بالتأكيد ولكني أظن أنني أستطيع أن أركل بقدمي قليلا"!

ومدت أليس قدمها قدر استطاعتها داخل المدخنة وانتظرت إلى أن سمعت حيوانا صغيرا (لم تستطع أن تعرف ما نوعه) يخدش ويندفع بعجلة في المدخنة فوقها تماما، وتصورت أنه بيل فعاجلته بركلة قوية وانتظرت لترى ماذا سيحدث بعد ذلك.



كان أول ما سمعته أصواتا لمجموعة تهتف:"ها هو ذا بيل يدخل!" ثم سمعت صوت الأرنب وهو يصيح: "التقطه، أنت الذى عند الحاجز!" ثم ساد الصمت، وبعد ذلك اختلطت أصوات أخرى -"أمسك برأسه يا براندى الآن -- لا تخنقه - كيف كان الأمر أيها الصديق العزيز؟ ماذا حدث لك؟ أخبرنا بكل شيء!"

وأخيرا ترامى إلى سمع أليس صوت صفير حاد واهن (اعتقدت أليس أنه بيل) يقول:"لا أدرى- لا أريد المزيد شكرا لك؛ إننى بحال أفضل الآن - ولكننى مرتبك جدا ولا أستطيع الكلام - كل ما أعرفه هو أن شيئا انطلق نحوى مثل عفريت العلبة، فقذف بى إلى أعلى مثل الصاروخ!"

قال الآخرون وهذا ما حدث فعلا، أيها الصديق العزيز!"

وقال الأرنب :"يجب أن نحرق البيت بأكمله!" فنادت أليس بأعلى ما تستطيع :"إن فعلتم، سأطلق قطتى دينا عليكم!"

خيم صمت مطبق فى الحال، ففكرت أليس فى نفسها ..."أتساءل عما سيفعلونه بعد ذلك! لو كان لهم ذرة عقل فعليهم بتحطيم سقف البيت" وبعد دقيقة أو دقيقتين، بدءوا يتحركون من جديد، وسمعت أليس الأرنب يقول: "حمولة عربة يد تكفى... بداية".

فكرت أليس... "حمولة عربة من ماذا؟" لكن لم يكن لديها وقت طويل للتفكير؛ لأنه فى اللحظة التالية تساقط مطقطقا وابل من الحصى الصغيرة من النافذة وأصاب بعضها وجهها. فقالت لنفسها: "سأضع حدا لهذا، وهتفت قائلة: "من الأفضل لكم ألا تفعلوا ذلك ثانية!" فخيم السكون بعد تلك الكلمات.

ولاحظت أليس بشىء من الدهشة أن كل الحصى المتناثر على الأرض يتحول إلى كعك، فخطرت ببالها فكرة رائعة، أخذت تفكر... "إن أكلتُ إحدى تلك الكعكات، فستحدث تغييرا ما فى حجمى؛ وبما أنه يستحيل أن أكبر أكثر من ذلك فلابد أنها ستجعلنى أصغر على ما أظن".

وهكذا التهمت كعكة من الكعكات، وأحست بالبهجة عندما وجدت أنها تصغر بالفعل وما أن أصبحت صغيرة بالقدر الكافى لتخرج من الباب، حتى جرت مسرعة إلى الخارج ووجدت حشدا كبيرا من الحيوانات الصغيرة والطيور تنتظر فكانت هنالك بيل، السحلية الصغيرة المسكينة، وسط فأرين يحملانها، ويقدمان لها شرابا من زجاجة، واندفعت الحيوانات جميعا إلى أليس لحظة ظهورها، ولكنها جرت بأسرع ما يمكنها وسرعان ما وجدت نفسها آمنة فى غابة كثيفة.

وقالت أليس لنفسها وهو تتجول فى الغابة : "أول شىء علىّ أن أفعله هو أن أنمو حتى أستعيد حجمى الصحيح مرة أخرى؛ والشىء الثانى

هو أن أجد طريقا للوصول إلى تلك الحديقة الرائعة. أعتقد أن هذه خطة جيدة".

وبدا أنها خطة ممتازة بلا شك، وقد تم ترتيبها بدقة وبساطة بالغتين؛ إلا أن الصعوبة الوحيدة كانت أن أليس لم تكن لديها أدنى فكرة كيف تنفذها؛ وبينما هى تنظر حولها بقلق بين الأشجار سمعت نباحا حادا فوق رأسها تماما دفعها إلى الالتفات إليه على الفور.



إذا به جرو ضخم ينظر إليها بعينين هائلتين مستديرتين، ويمد قدمه فى ضعف محاولا أن يلمسها، فقالت أليس بنبرة ملاطفة"يا له من مسكين!"، وحاولت جاهدة أن تصفر له ولكنها كانت تخشى أن يكون جائعا وأن يلتهمها رغم كل ملاطفتها.

ودون تفكير التقطت عصا صغيرة ومدتها إليه فقفز فى الهواء مطلقا عواء ينم عن الفرح، واندفع نحو العصا متظاهرا أنه ينهشها فتراجعت أليس إلى الوراء واحتمت بشجرة صبار ضخمة لتقى نفسها من الدهس. وعندما أطلت الناحية الأخرى اندفع الجرو مرة ثانية إلى العصا، ولكنه تدحرج رأسا على عقب حتى شعرت أليس وكأنها تلعب بعربة حصان وأنها قد تُدهس تحت قدميه في أية لحظة. أخذت أليس تدور حول الشجرة مرة أخرى وبدأ الجرو سلسلة من الهجمات القصيرة على العصا وهو يجرى قليلا إلى الأمام فى كل مرة، ثم يتراجع مسافة طويلة إلى الوراء، وهو ينبح بخشونة إلى أن جلس أخيرا بعيدا يلهث ولسانه يتدلى من فمه وعيناه الكبيرتان نصف مغلقتين.

بدا هذا لأليس فرصة جيدة للهرب فانطلقت على الفور وجرت إلى أن أصابها التعب وانقطع نفسها، وإلى أن بدا نباح الجرو خافتا عن بعد..

قالت أليس لنفسها وهى تتكئ على نبات زر الذهب وتستخدم ورقة من أوراقه مروحةً تخفف من شعورها بالحر: " يا له من جرو صغير رائع كم كنت أرغب فى تعليمه الحيل - هذا لو كنت فى الحجم المناسب للقيام بذلك! يا إلهى! كدت أنسى أنه يجب أن أكبر مرة ثانية! كيف يمكن تدبير ذلك؟ أفترض أن علىّ أن آكل أو أشرب شيئا ما ولكن السؤال ما هو هذا الشيء؟"

إنه حقا تساؤل مهم ونظرت أليس حولها إلى الأزهار والأعشاب، ولكنها لم تستطع أن ترى أى شيء يبدو مناسبا للأكل أو الشرب في ظل تلك الظروف. كانت هناك نبتة فطر ضخمة تنمو بالقرب منها وكانت في مثل طولها وحجمها وعندما نظرت إلى أسفلها وإلى جانبيها، وخلفها، قررت أن تكتشف ماذا فوقها.

وقفت على أطراف أصابعها ونظرت فوق طرف نبتة الفطر، وعلى الفور التقت عيناها بعيني دودة قز زرقاء ضخمة كانت تجلس على قمة نبتة الفطر، وذراعاها معقودتان على صدرها وهي تدخن نارجيلة طويلة دون أن تعير أدنى اهتمام لأليس أو لأى شيء آخر.

الفصل الخامس

نصيحة دودة القز



تبادلت دودة القز وأليس النظرات لبعض الوقت في صمت، ثم أبعدت دودة القز عصا النارجيلة عن فمها وقالت بصوت كسول ناعس:

"من أنتِ؟"

ولم تكن هذه بداية مشجعة للحديث، فأجابت أليس فى خجل: "أنا - أنا لا أعرف بالضبط يا سيدتى من أنا فى الوقت الحاضر - كنت أعرف ذلك عندما استيقظت هذا الصباح، ولكنى تعرضت لتغييرات عديدة منذ ذلك الحين.

قالت دودة القز فى حزم : "ما الذى تقصدينه من قولك هذا؟ أفصحى عن نفسك!"

فردت أليس قائلة : "أخشى أننى لا أستطيع ذلك يا سيدتى؛ لأننى لست أنا."

فتعجبت دودة القز وقالت: "ماذا تقصدين؟"

أجابت أليس بأدب بالغ: "أخشى أننى لا أستطيع توضيح الأمر أكثر، لأننى أنا نفسى أعجز عن فهم ذلك لكى أبدأ بالتفسير؛ إنه لأمر مربك للغاية أن أكون ذات أحجام مختلفة كثيرة فى يوم واحد".

وقالت دودة القز: "إنه ليس بأمر مربك".

فقالت أليس: "ربما لا تجدينه مربكا حتى الآن، ولكنك عندما تتحولين إلى شرنقة وهذا سوف يحدث فى يوم من الأيام كما تعلمين - ثم تتحولين إلى فراشة فستشعرين حينئذ بشىء من الغرابة، أليس كذلك؟"

ولكن دودة القز نفت ذلك وقالت: "إطلاقا."

فردت أليس: "ربما تكون مشاعرك مختلفة، ولكن هذا الأمر يبدو غريبا جدا بالنسبة لى".

قالت دودة القز بازدراء: "أنت! ومن أنت؟" وبهذا القول عادا مجددا إلى بداية الحديث. وشعرت أليس بانزعاج من هذه التعليقات المختصرة فاستجمعت شجاعتها وقالت بجدية بالغة: "أعتقد أن عليك أن تخبرينى من أنت أولا".

قالت الدودة: "لماذا؟"

لم تستطع أليس أن تفكر فى أى سبب وجيه تجيب به عن هذا السؤال، ولأن دودة القز بدت فى حالة مزاجية غير سارة بالمرة استدارت أليس ورحلت.

فنادتها دودة القز قائلة :"ارجعى! لدى أمر مهم أود أن أقوله لك!"

وبدا ذلك مبشرا فعادت أليس لعلها تسمع شيئا مفيدا، ولكن كل ما قالته دودة القز هو:

"حافظى على هدوئك".

فسألت أليس وهى تكتم غضبها قدر المستطاع: "أهذا كل ما فى الأمر؟"

أجابت الدودة :"لا".

فـانتظرت أليس إذ لم يكن لديهـا شيء آخـر تفـعله وربمـا تطلعـهـا الدودة على شيء يسـتـحق الإصـغـاء. أخـذت الدودة تنفخ فى النارجـيلة لبـضع دقـائق دون أن تتكلم، وأخـيـرا فـردت ذراعيـهـا وأخـرجت عـصـا النارجيلة من فمها وقالت :"إنك تعتقدين أنك تغيرت، أليس كذلك؟"

قـالت أليـس: "نعم يا سيـدتى، فـأنا أعـجز عن تذكر الأمـور كسـابق عهدى ولا أستطيع الحفاظ على حجمى لأكثر من عشر دقائق!"

قالت الدودة : "ما الأشياء التى تعجزين عن تذكرها؟"

قـالت أليس بصـوت بائس: "حاولت أن أردد أغنـيـة "النحلة الصـغيرة المجتهدة" ولكن الكلمات اختلفت تماما!".

فقالت الدودة : "رددى أغنية "بابا وليم العجوز"".

شبكت أليس يديها وبدأت تقول:



سأل الولد: "بابا وليم يا عجوز
قولى إزاى يجوز
شعرك شايب وعجوز
وعلى راسك واقف، ده يجوز؟

فى شبابى لم يجوز
خفت لحسن عقلى يبوظ
ودلوقتى أنا عجوز
عقلى طار من الوقوف
على راسى ليل نهار



سأل الولد :"بابا وليم يا عجوز

أنت تخين وقلبوظ

واتشقلبت في الهوا

وده يجوز يا عجوز؟

قبل ما اكون عجوز

دهنت رجليه وإيديه

بمرهم بشلن وشوية

أجيبلك منه هدية؟"

سأل الولد :"بابا وليم يا عجوز

قوللي إزاي يجوز

تاكل الوزة والمنقار

من غير فكك ما ينهار؟



مع مراتى على النقار

اتعودت ليل نهار

ودلوقتى أنا عجوز

وده كله يجوز

سأل الولد :"بابا وليم يا عجوز

قولى إزاى يجوز

توزن الحنكليس

بين عينيك يا حسيس



أنا وليم العجوز

هو ينفع أو يجوز

تفضل تسأل كده بالجوز

بس كفاية... لا يجوز.

وعندما انتهت أليس من الغناء قالت دودة القز: " لم تلقى الأغنية بشكل صحيح".

أجابت أليس بخجل: "أخشى أننى أخطأت فى بعض الكلمات".

قالت دودة القز بلا تردد: "بل أخطأت من البداية وحتى النهاية"، ثم ساد صمت لبضع دقائق إلى أن سألت دودة القز: أى حجم ترغبين أن تكونى؟"

أجابت أليس بسرعة: "لست مهتمة بالحجم إلا أننى لا أحب التغيير دائما، كما تعلمين".

ولكن الدودة قالت :"بل إننى لا أعلم".

لم تقل أليس شيئا إذ لم يسبق لها أن عارضها أحد إلى هذا الحد فى حياتها كلها، وقد شعرت أنها تفقد أعصابها.

وقالت الدودة "هل أنت مقتنعة الآن؟"

قالت أليس: "ليكن، أرغب أن أكون أكبر حجما بقليل يا سيدتى، فثلاث بوصات حجم سيئ جدا".

قالت الدودة بغضب وهى تتراجع وتفرد نفسها (إذ إن طولها ثلاث بوصات تماما): "لا! بل هو طول مثالى جدا!"

فتوسلت أليس بنبرة تثير الشفقة: " لكننى... لست معتادة عليه!" وقالت فى نفسها: "أتمنى لو أن هذه الكائنات لا تنزعج بهذه السهولة!"

قالت الدودة: "سوف تعتادين على هذا الطول مع مرور الوقت"، ثم وضعت عصا النارجيلة فى فمها وبدأت تدخن ثانية.

وانتظرت أليس فى صبر حتى تتكلم الدودة من جديد وبعد دقيقة أو اثنتين، أخرجت الدودة عصا النارجيلة من فمها وتثاءبت مرة أو مرتين،

ثم نفضت نفسها ونزلت من فوق نبتة الفطر وزحفت إلى العشب، وهى تقول: "جانب سيجعلك أطول، وجانب سيجعلك أقصر".

فكرت أليس: "جانب ماذا؟ الجانب الآخر من ماذا؟"

قالت الدودة، وكأنما أليس طرحت السؤال بصوت مرتفع: "من نبتة الفطر"، وبعد لحظة اختفت الدودة عن الأنظار.

ألقت أليس نظرة فاحصة على نبتة الفطر محاولة أن تتعرف على جانبيها وبما أن نبتة الفطر كانت مستديرة تماما، فقد وجدت هذه المهمة صعبة للغاية. ولكنها أخيرا مدت ذراعيها حولها قدر ما استطاعت وقطعت جانبا من كل طرف.

ثم قالت فى نفسها: "والآن أى جانب هو الجانب الصحيح؟" قضمت قليلا من القطعة التى فى يدها اليمنى لترى النتيجة، وفى اللحظة التالية أحست بضربة عنيفة موجهة إلى أسفل ذقنها: لقد اصطدم ذقنها بقدمها! أصابها خوف شديد من هذا التغيير المفاجئ، ولكنها أحست أنه ليس هناك وقت تضيعه وهى تتقلص بهذه السرعة! فبدأت فى الحال تأكل بعضا من القطعة الأخرى. ولكن ذقنها ضغطت على قدمها بشدة بحيث كان من الصعب أن تفتح فمها، ولكنها تمكنت من ذلك فى النهاية واستطاعت ابتلاع جزء من القطعة التى فى يدها اليسرى.

وقالت أليس بسعادة: " لقد تحرر رأسي أخيرا!"، ولكن فرحتها تحولت إلى خوف شديد عندما اكتشفت أن كتفيها قد اختفيا عن الأنظار، وأن كل ما استطاعت أن تراه عندما نظرت إلى الأسفل كان عنقا ذا طول هائل، بدا وكأنه ساق لنبات في بحر من الأوراق الخضراء ترامت بعيدا تحتها.

وتساءلت أليس: "ما كل هذه الخضرة ؟ وأين اختفت كتفاى؟ أواه! يا يدى المسكينتين إننى أعجز عن رؤيتكما؟" وكانت تحركهما وهى تتحدث ولكن لم يكن لذلك أية نتيجة باستثناء تحرك بسيط بين الأوراق الخضراء البعيدة.

وعندما أدركت استحالة وصول يديها إلى رأسها حاولت أن تحنى رأسها إليها وقد فرحت حين وجدت أنه يمكن لعنقها أن ينحنى بسهولة فى أى اتجاه مثل الأفعى، وقد نجحت فى ثنيه ليتخذ شكل خط متعرج رائع، وأوشكت أن تغوص وسط الأوراق التى اكتشفت أنها ليست سوى قمم الأشجار التى كانت تمشى تحتها إلى أن سمعت صوت همسة حادة جعلتها تتراجع بسرعة؛ إذ طارت حمامة ضخمة نحو وجهها وأخذت تضربها بقوة بجناحيها.

صاحت الحمامة: "أفعى!"

فقالت أليس غاضبة: "لست أفعى! دعينى وشأنى!"

إلا أن الحمامة رددت بصوت مكتوم: "أفعى، أقولها مرة أخرى!"

وأضافت بشيء من البكاء: "لقد جربت كل وسيلة، ولا شيء يرضيها!"

قالت أليس: "ليست لدى أدنى فكرة عما تتحدثين عنه".

فتابعت الحمامة تقول دون أن تلتفت إليها: "لقد جربت جذور الأشجار وجربت ضفاف الأنهار وجربت أسوار الشجيرات ولكن تلك الأفاعي! ما من وسيلة لإرضائها!"

ازدادت أليس حيرة من أمرها، ولكنها رأت أن لا فائدة من قول أى شيء حتى تنتهى الحمامة من الكلام .

وتابعت الحمامة تقول: "وكأنما فقس البيض ليست بالمشكلة الكافية فعلىّ أن أتوخى الحذر ليل نهار من الأفاعى! فلم يغمض لى جفن هذه الأسابيع الثلاثة!"

فقالت أليس التى بدأت تفهم ما تقصده: "آسفة جدا لإزعاجك".

وقالت الحمامة وقد علا صوتها فصار صراخا: "وما أن اتخذت أعلى شجرة فى الغابة وما أن بدأت أفكر أننى صرت متحررة منها أخيرا حتى تأتى تتلوى من السماء! أخٍ من الأفاعى!"

فقالت أليس: "لكننى أقول لك إننى لست أفعى! أنا – أنا –"

قالت الحمامة: "من أنت إذن؟ يمكننى أن أرى أنك تحاولين اختراع أى شىء!"

قالت أليس بارتياب وهى تتذكر عدد التغيرات التى مرت بها خلال ذلك النهار: "أنا - أنا فتاة صغيرة".

إلا أن الحمامة قالت بازدراء: "حقا! لقد رأيت فتيات صغيرات كثيرا فى حياتى، ولكننى لم أر عنقا كهذا! لا، لا! أنت أفعى؛ ولا جدوى من إنكار ذلك وستدعين بعد ذلك أنك لم تتذوقى بيضة قط".

قالت أليس التى كانت طفلة صادقة جدا: "لقد تذوقت البيض بالتأكيد فأنت تعلمين أن الفتيات الصغيرات تأكلن البيض بالقدر الذى تأكله الأفاعى".

قالت الحمامة: "لا أصدق ذلك، ولكن إذا فعلن ذلك فهن إذن نوع من الأفاعى وهذا كل ما يمكننى أن أقوله".

كانت هذه معلومة جديدة بالنسبة لأليس فظلت صامتة لدقيقة أو دقيقتين، مما منح الحمامة فرصة لإضافة: "أنت تبحثين عن البيض، أعرف ذلك جيدا؛ وماذا يعنينى إن كنت فتاة صغيرة أو أفعى؟"

فقالت أليس على عجل: "بل هو يعنينى كثيرا ولكننى لا أبحث عن البيض كما تظنين ولو كنت أفعل لما رغبت فى بيضك فأنا لا أحبه نيئًا".

قالت الحمامة بغضب وهى تستقر ثانية فى عشها: "حسنا، امشى من هنا إذن!" انحنت أليس بخوف وسط الأشجار قدر ما استطاعت لأن عنقها أخذ يتشابك وسط الأغصان، وكان عليها بين الحين والآخر أن تتوقف وتخلصه. وبعد وقت قصير تذكرت أنها ما زالت تحتفظ بقطع من نبتة الفطر فى يديها فبدأت تقضم من كل يد بحذر شديد فتصبح أحيانا أكثر طولا"، وأحيانا أقصر، إلى أن نجحت فى إعادة نفسها إلى طولها المعتاد.

لقد مضى وقت طويل منذ أن كانت أقرب إلى حجمها الطبيعى؛ لذا فقد أحست بشعور غريب أول الأمر، ولكنها اعتادت على ذلك بعد قليل وبدأت تحدث نفسها كالعادة وتقول: "أخيرا لقد انتهيت من تنفيذ نصف خطتى! كم هى محيرة كل هذه التغييرات! فلست متأكدة من سأكون من دقيقة إلى أخرى! لكننى عدت إلى حجمى الطبيعى والخطوة الثانية هو دخولى إلى تلك الحديقة الجميلة - ولكنى أتساءل كيف يمكن تحقيق ذلك؟" وما أن قالت هذا حتى وصلت فجأة إلى مكان فسيح فيه بيت صغير ارتفاعه أربعة أقدام فدار بخاطرها: "بصرف النظر عمن يعيشون هناك فلن يجدى نفعا أن أواجههم وأنا بهذا الحجم؛ إذ إننى سأبعث فيهم الرعب الشديد!" وهكذا بدأت تقضم من القطعة التى بيدها اليمنى ثانية، ولم تغامر بالاقتراب من البيت حتى قلصت طولها إلى تسع بوصات.

الفصل السادس

الخنزير وحبات الفلفل

وقفت أليس دقيقة أو دقيقتين تنظر إلى البيت وتفكر فيما ستفعله بعد ذلك حين ظهر فجأة خادم يرتدى زيا خاصا، وهو يجرى قادما من الغابة - (لقد اعتبرته خادما لأنه يرتدى ملابس تدل على ذلك وإذا ما تعرفت عليه من خلال الوجه فقط لكانت اعتبرته سمكة؛ إذ إن وجهه كان وجه سمكة) - وقد أخذ يطرق على الباب بشدة بظهر يده. فتح الباب خادمٌ آخر يرتدى الزى نفسه وله وجه مستدير وعينان ضخمتان تشبهان عينى الضفدع، وقد لاحظت أليس أن الخادمين يرتديان شعرا "مستعارا" مغطى بمسحوق، وقد التف فوق رأسيهما. أحست بالفضول إذ أرادت أن تعرف ماذا يجرى؛ فتسللت لمسافة قصيرة خارج الغابة كى تستمع إليهما.

بدأ الخادم السمكة بإخراج رسالة ضخمة فى نفس حجمه تقريبا من تحت ذراعه وسلمها للخادم الآخر قائلا بجدية: "إنها للدوقة وهى

دعوة من الملكة للعب الكروكيه"؛ فردد الخادم الضفدع بنفس اللهجة الجادة مغيرا فقط ترتيب الكلمات قليلا :"من الملكة دعوة للدوقة للعب الكروكيه".

وبعد ذلك انحنى كلاهما انحناءة منخفضة، فتشابكت خصلاتهما.

ضحكت أليس كثيرا على ما شاهدت وما سمعت حتى اضطرت أن تجرى عائدة إلى الغابة، خشية أن يسمعاها وعندما نظرت إليهما فيما بعد كان الخادم السمكة قد رحل في حين جلس الآخر على الأرض بالقرب من الباب، محدقا ببلاهة في السماء.

اتجهت أليس بخجل إلى الباب وطرقته.

ولكن الخادم قال لها:."لا جدوى أبدا من طرق الباب وذلك لسببين؛ الأول هو أننى فى الجانب نفسه من الباب مثلك، وثانيا لأنهم يحدثون ضجيجا هائلا فى الداخل فلن يسمعوك". وبالتأكيد كان هنالك ضجيج غير عادى يأتى من الداخل - صراخ وعطس مستمران، ومن حين لآخر صوت تحطم هائل، كأنما هو تهشم لطبق أو لإبريق شاى؛ فسألت أليس: "أرجوك إذن، كيف لى أن أدخل؟"

أجابها الخادم بعدم اهتمام: "كان يمكن أن يكون طرقك للباب مفيدا فى حالة وجود الباب بيننا، فمثلا، لو كنت أنت فى الداخل وطرقته لاستطعت أن أخرجك". وكان ينظر إلى السماء طوال الوقت وهو يتكلم

فشعرت أليس أن هذا غير لائق بالمرة. وقالت لنفسها: "لكنه ربما لا يستطيع التحكم فى ذلك؛ إذ إن عينيه فى أعلى رأسه تقريبا. ولكن على أية حال، يمكنه أن يجيب عن أسئلتى فكررت بصوت مرتفع:"كيف لى أن أدخل إذن؟"

فرد الخادم قائلا: "سأجلس هنا حتى الغد".

وفى تلك اللحظة انفتح باب البيت وانطلق منه طبق ضخم اتجه نحو رأس الخادم أصاب أنفه، وتحطم عند اصطدامه بإحدى الأشجار.

ومع ذلك تابع الخادم يقول بنفس النبرة كما لو أن شيئا لم يحدث: " وسأظل هنا ربما حتى بعد غد".

سألت أليس مرة ثانية بصوت أعلى: "كيف لى أن أدخل؟"

قال الخادم: " وهل عليك الدخول؟ فهذا هو السؤال الأول".

إنه السؤال الأول دون شك ولكن أليس لم ترغب فى أن يخبرها أحد بذلك. فتمتمت لنفسها..."إن الطريقة التى تتجادل بها كل الطيور والحيوانات هنا متعبة جدا تكاد تدفع الإنسان إلى الجنون!"

وبدا للخادم أنها فرصة جيدة ليردد عبارته بشئ من التغيير فقال: "سأجلس هنا من حين لآخر، لأيام وأيام".

وسألته أليس: "وماذا أفعل أنا ؟"

فأجابها: "افعلى ما تشائين" ثم بدأ يصفر.

فقالت أليس فى يأس: "آه، لا جدوى من التحدث إليه، فهو أبله تماما!". ثم فتحت الباب ودخلت.

كان الباب يؤدى مباشرة إلى مطبخ ضخم امتلأ بالدخان من أوله وحتى آخره، وكانت الدوقة جالسة فى الوسط على كرسى بلا ظهر له ثلاثة أرجل ترضع طفلا فى حين كانت الطاهية منحنية فوق النار تقلب قدرا ضخما مليئا بالحساء.

وقالت أليس لنفسها وهى تعطس: " هذا الحساء به قدر هائل من الفلفل!".

وسرت فى الجو رائحة فلفل قوية حتى إن الدوقة أخذت تعطس من حين لآخر، وأما الطفل فقد كان يعطس ويصيح باستمرار دون توقف، والمخلوقان الوحيدان فى المطبخ اللذان لم يكونا يعطسان كانا الطباخ وقطا ضخما جالسا فوق الفرن يبتسم ملء وجهه.

سألت أليس فى خجل: " قولى لى من فضلك لماذا يبتسم القط بهذه الطريقة؟"

قالت الدوقة: "لأنه قط شيشاير أيها الخنزير!"

قـفـزت أليس من الدهشـة فـقـد نطقت الكلمـة الأخـيـرة بعنف مفـاجئ للغـاية، ثم أدركت أنهـا كانت تخـاطب الطفل ولا تخـاطبـهـا هـى، فـاستـجـمـعت شـجـاعتـهـا وتـابعت تقـول مـجـددا: "لم أكن أعلم أن قطط شيشاير دائمة الابتسام، وفى الواقع، لم أعرف أن باستطاعة القطط أن تبتسم".

فقالت الدوقة: "كلها تستطيع ذلك، ومعظمها تفعل".

وقـالت أليس بأدب بالغ وبسـعادة لأنها استطاعت أن تفتح الحوار: "لم أر أية قطط تبتسم قبل ذلك".

فردت الدوقة: "من الواضـح أنك لا تعرفين شيئا".

لم تعجب أليس بنبرة تلك الملاحظة على الإطلاق ولذلك فضلت تغيير موضـوع الحـديث. وبينمـا هـى تحـاول التفكير فى مـوضـوع جديد للحـوار رفـعت الطاهـيـة قـدر الحـسـاء من النـار، وبدأت تلقـى كل شـىء كـان فى متناول يدها على الدوقة وعلى الطفل - فرمت فى البداية الأدوات المعدنية المستخدمـة لإشـعال نار المدفـأة، ثم تبعـهـا وابل من الكسرولات والأطبـاق والصحون ولم تنتبه الدوقة لأى منها حتى عندما أصابتها كما كان الطفل يصرخ بشدة طوال الوقت بحيث تعذر معرفة ما إن كانت الضربات تؤذيه أم لا.

وصاحت أليس وهى تقفز فى رعب شديد: "أواه! أرجوك، انتبهى لما تفعلين! أوه! يبدو أن أنفه قد أصيب" فقد طارت مقلاة ضخمة على قرب منه وكادت تودى بأنفه.

وقالت الدوقة فى تذمر: "لو لم يتدخل كل إنسان فيما لا يعنيه لدارت الدنيا بشكل أسرع مما تفعل".

فأضافت أليس فى محاولة لاستعراض شيئًا من معلوماتها: "لن يكون ذلك مفيدا فسوف يؤثر على دورة الليل والنهار، فكما تعلمين أن الأرض تستغرق أربعًا وعشرين ساعة لتدور حول محورها ولا يمكن قطع الدورة".

فقالت الدوقة: "بمناسبة الحديث عن القطط اقطعى رقبة القطة".

نظرت أليس بقلق إلى الطاهية لترى إن كانت ستنفذ ذلك الأمر. ولكن الطاهية كانت منهمكة فى تقليب الحساء وبدت أنها لم تنتبه لما قيل فتابعت تقول ثانية: "أهى أربع وعشرون ساعة أم اثنتا عشرة؟ أنا-"

قاطعتها الدوقة قائلة: " لا تزعجينى فأنا لا أستطيع أبدا أن أتحمل الأرقام!" وبعد قول ذلك، بدأت ترضع الطفل ثانية، وهى تغنى وتدفعه دفعة عنيفة عند نهاية كل جملة:

"اشخطى فى ابنك لما يعطس كتير

لإنه عارف إنه فظيع

كورس: (الطاهية والطفل مع بعض)

"واء! واء! واء!"

وبينما كانت الدوقة تغنى المقطع الثانى من الأغنية أخذت ترمى الطفل الرضيع بعنف إلى أعلى وإلى أسفل، وأخذ الطفل المسكين يصرخ بشدة فلم تستطع أليس سماع الأغنية إلا بصعوبة :

بشخط فى ابنى كتير

واضربه لما يعطس

وياكل الفلفل

لغاية لما يفطس

كورس: "واو! واو! واو!".

- قالت الدوقة لأليس وهى تقذف لها الطفل: "خذيه! يمكنك أن تقومى بإرضاعه قليلا لو شئت! فيجب أن أذهب وأستعد للعب الكروكية مع الملكة"، ثم أسرعت خارج الغرفة وألقت الطاهية بمقلاة ورائها، ولكنها لم تصبها.

أمسكت أليس بالطفل بشيء من الصعوبة؛ إذ إنه مخلوق صغير غريب الشكل وقد مد ذراعيه وساقيه في كل الاتجاهات مما دعا أليس أن تتصور أنه: "يشبه نجمة البحر". وكان المخلوق الصغير المسكين يشخر كأنه محرك بخاري عندما حملته، وظل يحني نفسه ويعتدل ثانية، بحيث إنها لم تستطع الإمساك به في أول دقيقة أو دقيقتين.

وحينما اكتشفت الطريقة المناسبة لإرضاعه (فقد لوته على شكل عقدة ثم أمسكت بأذنه اليمنى وقدمه اليسرى حتى لا يفلت) وحملته خارجا إلى الهواء الطلق. وأخذت أليس تفكر: "إن لم آخذ هذا الطفل معي فإنهم سيقتلونه بعد يوم أو يومين! أفإن تخليت عنه ألا يعد ذلك جريمة قتل؟" نطقت بالكلمات الأخيرة بصوت مرتفع فنخر المخلوق الصغير مجيبا (فقد توقف عن العطس).

فقالت أليس: "لا تنخر، إنها ليست أفضل وسيلة للتعبير عن نفسك"، ولكن الطفل نخر مرة أخرى فنظرت إليه بقلق شديد؛ لكي ترى ما به فوجدت أن أنفه مثنى إلى أعلى ويشبه كثيرا أنف خنزير أكثر مما يشبه أنف إنسان، كما أن عينيه أخذتا تصغران كثيرا حتى لم تناسبا عينيّ طفل ولم يعجب أليس شكله على الإطلاق؛ فـفكرت... "ولكن ربما ذلك نتيجة بكائه المستمر" فنظرت إلى عينيه ثانية لترى ما إذا كانت مليئة بالدموع.

ولكن لم تكن هنالك أى دموع؛ فقالت أليس بجدية: "إن كنت ستتحول إلى خنزير يا عزيزى فلن تكون لى أية علاقة بك!" فأخذ المخلوق الصغير المسكين يبكى ثانية (أو ينخر، إذ استحالت معرفة الفرق فى الأصوات) ثم لزم الصمت لبعض الوقت.

ودار بخاطر أليس..."والآن ماذا أفعل بهذا المخلوق عندما أصطحبه معى إلى البيت؟" عندئذ نخر بعنف مرة ثانية؛ فتطلعت فى وجهه بشىء من القلق لتتأكد أنه خنزير، فأحست أن من السخافة أن تحمله أكثر من ذلك.

وهكذا وضعت المخلوق الصغير على الأرض وشعرت بارتياح كبير حين رأته يجرى بعيدا فى هدوء نحو الغابة. ودار بخاطرها..." إنه لو كبر لأصبح طفلا قبيحا جدا ولكننى أعتقد إنه سيصبح خنزيرا جميلا"، ثم بدأت تفكر فى الأطفال الآخرين الذين عرفتهم والذين يمكن أن يكونوا خنازير جميلة، وكادت تقول لنفسها: "لو أن الإنسان يعرف فقط الطريقة المناسبة لتغييرهم-" ولكنها فزعت عند رؤية قطة شيشاير جالسة على غصن شجرة على بعد أمتار قليلة فنادتها فى خجل قائلة: "أيها القطة شيشاير" ولم تكن تعرف أكانت ستحب هذا الاسمُ، إلا أن القطة ابتسمت ابتسامة أكثر عرضا بقليل؛ فأحست أليس أنها راضية حتى الآن، فتابعت تقول :"هلا أخبرتنى من فضلك أى طريق ينبغى أن أسلك لأخرج من هنا؟"

قال القطة: "هذا يعتمد كثيرا على المكان الذى ترغبين فى الذهاب إليه".

قالت أليس: "لا يهمنى كثيرا أين -"

قالت القطة: "إذن لا يهم أى طريق تسلكين".

فأضافت أليس موضحة: "مادمت سأصل إلى مكان ما".

قالت القطة: "حسنا، بالتأكيد ستصلين إلى مكان ما إن مشيت المسافة المطلوبة".

أحست أليس أنه لا يمكن إنكار ذلك، فحاولت أن تطرح سؤالا آخر فقالت: "أى نوع من الناس يعيشون هنا؟"

قالت القطة وهى تحرك قدمها اليسرى بشكل دائرى: "في هذه الناحية يعيش صانع قبعات، وفى تلك الناحية "وأشارت بقدمها الأخرى "يعيش أرنب مارس البرى. قومى بزيارة من تشائين فكلاهما مجنون".

ولكن أليس أشارت: "لا أريد أن أذهب إلى مجانين".

فقالت القطة: "حسنا، لن تستطيعى تجنب ذلك، فكلنا مجانين هنا. أنا مجنونة، وأنت مجنونة".

قالت أليس: "كيف تعلمين أننى مجنونة؟"

أجابت القطة: "لابد أن تكونى مجنونة، وإلا لما أتيت إلى هنا".

لم تعتقد أليس أن هذا القول يثبت ذلك مطلقا، ولكنها تابعت تقول: "وكيف تعلمين أنك مجنونة؟"

قالت القطة: "لنبدأ بالقول إن الكلب ليس مجنونا". أتوافقين على ذلك؟"

قالت أليس: "أوافق"

فتابعت القطة تقول: "حسنا، إذن، تعلمين أن الكلب ينبح عندما يغضب، ويحرك ذيله عندما يفرح. أما أنا فأزمجر عندما أفرح وأحرك ذيلى عندما أغضب، لذلك فأنا مجنونة".

قالت أليس: "أعتبر هذه قرقرة وليست زمجرة".

فقالت القطة: "سمها ما شئت. هل ستلعبين الكروكيه مع الملكة اليوم؟"

قالت أليس: "أود ذلك كثيرا ولكن لم تتم دعوتى بعد".

قالت القطة: "سوف نلتقى هناك"، ثم اختفت.

لم تندهش أليس كثيرا إزاء ذلك؛ إذ إنها اعتادت على حدوث العجائب، وبينما هى تنظر إلى حيث كانت القطة إذا بها تظهر مرة ثانية وتقول: "بالمناسبة. ماذا حدث للطفل؟ كدت أنسى أن أسألك".

قالت أليس بهدوء بالغ كما لو أن القطة عادت بشكل طبيعي: "لقد تحول إلى خنزير".

فردت القطة قائلة: "لقد توقعت ذلك"، ثم اختفت مجددا.

انتظرت أليس قليلا وقد شعرت أنه من المحتمل أن تراها مرة أخرى، ولكنها لم تظهر. وبعد دقيقة أو اثنتين مشت في اتجاه بيت أرنب مارس البرى وقالت لنفسها: "لقد سبق لى أن شاهدت صانعى قبعات ولكن سيكون أرنب مارس البرى أكثر إثارة، ولكن بما أننا فى شهر مايو فلن يكون فى حالة توحش بالغ مثلما يكون فى شهر مارس". وما أن قالت هذا ونظرت إلى أعلى حتى وجدت القطة جالسة على غصن شجرة.

قالت القطة: "هل قلت"خنزير" أم"جرجير" ؟"

أجابت أليس: "قلت خنزير وأتمنى لو أن تتوقفى عن الظهور والاختفاء فجأة هكذا، فأنت تصيبيننى بدوار".

قالت القطة: "حسنا! اتفقنا" وفى هذه المرة اختفت ببطء نوعا ما مبتدئة بنهاية الذيل، ومنتهية بالابتسامة التى بقيت لبعض الوقت بعد أن تلاشى ما بقى منها.

فكرت أليس فى نفسها..."لقد سبق وأن رأيت قطة دون ابتسامة ولكن أن أرى ابتسامة دون قطة فإن ذلك أغرب شىء رأيته فى حياتى".

وما أن خطت بضع خطوات حتى وجدت نفسها أمام بيت أرنب مارس البري، ورجحت أليس أنه المنزل لأن المداخن كانت على شكل الأرنب في حين اكتسى السقف بالفراء؛ كان بيتا "ضخما" جدا فلم ترغب في الاقتراب منه حتى قضمت المزيد من قطعة الفطر التي في يدها اليسرى مما أدى إلى أن طولها زاد قدمين تقريبا، ثم أنها مشت بحذر وهي تقول لنفسها: "لنفترض أنه بالغ الجنون! كم أتمنى لو أنني ذهبت للقاء صانع القبعات بدلا من الأرنب البري!"

الفصل السابع

حفلة شاى مجنونة

وصلت أليس لتجد مائدة قد أُعدت أمام البيت تحت الشجرة، وكان أرنب مارس البرى وصانع القبعات يجلسان حولها يتناولان الشاى، في حين جلس بينهما فأر مستغرق فى النوم فاستخدمه الآخران وسادةً يستندان إليه، ويتحدثان من فوق رأسه. وشعرت أليس بأن هذا شيء مزعج جدا للفأر، ولكنها افترضت أنه لا يبالى لأنه نائم.

وعلى الرغم من ضخامة المائدة فإن الثلاثة احتشدوا معا عند زاوية من زواياها، وصاحوا عندما رأوا أليس قادمة: "لا مكان لكِ! لا مكان لكِ!" فقالت أليس بتذمر: "بل هناك متسع فى المكان!" ثم جلست على أريكة ضخمة عند طرف من أطراف المائدة.

قال أرنب مارس البرى بحفاوة: "تفضلى شيئا من النبيذ".

وتطلعت أليس حول المائدة ولكن لم يكن عليها شيء سوى الشاى. فأشارت قائلة: "أنا لا أرى أى نبيذ".

فقال أرنب مارس البرى: "لأنه ليس هناك أى نبيذ".

فردت أليس بغضب: "إذن من غير اللائق أن تعرضه علىّ"

ولكن أرنب مارس البرى قال: "ومن غير اللائق منك أن تجلسى دون أن تتم دعوتك".

فقالت أليس: "لم أكن أعلم أنها مائدتك فهى مُعدة لعدد أكبر بكثير من ثلاثة أشخاص".

وهنا قال صانع القبعات فى أول مشاركة له فى الحديث وقد كان ينظر إلى أليس بفضول بالغ: "إن شعرك بحاجة إلى القص".

أجابته أليس بحدة: "عليك أن تتعلم ألا تتدخل فيما لا يعنيك؛ فهذا غير مقبول".

فتح صانع القبعات عينيه الواسعتين جداً عند سماع ذلك، ولكنه بادر بالسؤال قائلا: "لماذا يشبه الغراب مائدة الكتابة؟"

وأخيرا شعرت أليس بالسعادة، إذ إنها ظنَت أنها ستستمتع أخيرا بشيء من اللهو، فقالت تخاطبهم: "كم أنا سعيدة لأنهم بدأوا فى لعبة الفوازير. أعتقد أننى أستطيع أن أحل هذه الفزورة ".

فسألها أرنب مارس البرى: "أتقصدين أنك تعتقدين أن باستطاعتك حل تلك الفزورة؟"

قالت أليس: "بالضبط"

فتابع أرنب مارس البرى القول: "إذن عليك أن تقولى ماذا تقصدين".

ردت أليس بسرعة: "إنى أقصد ما أقول - والأمر سيان، كما تعلم".

فقال صانع القبعات :"ليس الأمر سيان أبدا! فكيف يمكنك أن تقولى أن عبارة" أنا أرى ما آكل" مطابقة لعبارة "أنا آكل ما أرى"!"

وأضاف أرنب مارس البرى يقول: "ويمكنك أيضا أن تقولى: "إن عبارة "أحب ما أحصل عليه" مثل: "أنا أحصل على ما أحب"!"

وأضاف الفأر الذى بدا أنه يتكلم أثناء نومه: "ويمكنك أيضا أن تقولى "أنا أتنفس عندما أنام" مثل "أنا أنام عندما أتنفس"!

وقال صانع القبعات:"إن الأمر كله سيان بالنسبة إليك"، وهنا توقف الحديث وجلست المجموعة صامتة لمدة دقيقة، وأخذت أليس تستعيد كل ما استطاعت أن تتذكره عن الغربان وموائد الكتابة، ولم يكن بالكثير.

كان صانع القبعات أول من تكلم؛ إذ قال وهو يلتفت إلى أليس: "فى أى يوم نحن من الشهر؟" وكان قد أخرج ساعته من جيبه وهو ينظر إليها بقلق ويهزها من حين لآخر، ويضعها قريبا من أذنه.

فكرت أليس قليلا وقالت: "اليوم أربعة فى الشهر"

تنهد صانع القبعات وقال: "أخطأت بيومين"، ثم أضاف وهو ينظر بغضب إلى أرنب مارس البرى : "لقد أخبرتك بأن الزبد غير مناسب لتشغيل الساعة!"

فأجاب أرنب مارس البرى بخنوع :"لقد كان الزبد من أفضل الأنواع".

وأضاف صانع القبعات متذمرا: "نعم، ولكن لابد أن بعض كسرات الخبز قد امتزجت به، فكان ينبغى ألا تضعه بجانب سكين قطع الخبز".

ثم أخذ أرنب مارس البرى الساعة ونظر إليها فى وجوم، ثم غمسها فى كوب الشاى ونظر إليها ثانية، ولكنه لم يستطع أن يفكر فى أى شىء يقوله أفضل من ملاحظته الأولى: "لقد كانت أفضل نوع زبد كما تعلم".

وتطلعت أليس من فوق كتفه بشىء من التطفل ثم قالت: "يا لها من ساعة غريبة! إنها تشير إلى التاريخ ولا تشير إلى الوقت!"

تمتم صانع القبعات وقال: "ولم لا؟ هل تشير ساعتك إلى السنة؟"

أجابت أليس بسرعة: "طبعا لا، لأن السنة لا تتغير إلا بعد مدة طويلة جدا".

فقال صانع القبعات: "وهكذا الأمر بالنسبة إلىّ".

أحست أليس بدهشة هائلة إذ بدت ملاحظة صانع القبعات بلا معنى، مع أنه قالها بلغة صحيحة. فقالت بأدب بالغ: "إنني لا أفهم ما تقوله تماما".

قال صانع القبعات: "إن الفأر عاود النوم مرة أخرى"، ثم سكب قليلا من الشاى الساخن فوق أنفه.

هز الفأر رأسه وقد نفد صبره وقال دون أن يفتح عينيه: "طبعا، طبعا؛ هذا بالضبط ما كنت أريد قوله".

قال صانع القبعات وهو يلتفت إلى أليس ثانية: "هل عرفت حل الفزورة؟"

أجابت أليس: "لا أستطيع حلها. ما الحل؟"

قال صانع القبعات: "ليس لدى أدنى فكرة".

وقال أرنب مارس البرى: "ولا أنا".

تنهدت أليس بتعب وقالت: "أعتقد إن بإمكانك القيام بشيء أفضل من إضاعة الوقت فى طرح فوازير بلا حلول".

قال صانع القبعات: "لو أنك تعرفين الوقت مثلما أعرفه لما تحدثت عن إضاعته".

قالت أليس: "لا أعرف ماذا تقصد".

قال صانع القبعات وهو يرفع رأسه بحركة مفاجئة وبازدراء: "طبعا لا تعرفينه وإنى متأكد أنك لم تتحدثى إلى الوقت قط!"

أجابت أليس بحذر: "ربما، ولكننى أعرف أن علىّ أن ألتزم بالوقت عندما أتعلم الموسيقى".

قال صانع القبعات: "آه! هذا هو السبب؛ فهو لا يطيق هذا الالتزام، فلو بقيت على وفاق معه فإنه سيفعل كل ما تشائين. فمثلا، دعينا نفترض أنها التاسعة صباحا وهو الوقت الذى يبدأ فيه اليوم الدراسى، عليك فقط أن تبدى ملاحظة بسيطة فستجدى الوقت يمر سريعا! الواحدة والنصف، وقت الغداء!"

(قال أرنب مارس البرى لنفسه بهمس: "كم أتمنى ذلك")

وقالت أليس وهى غارقة فى التفكير: "سيكون ذلك شيئا رائعا بالتأكيد ولكن حينها – لن أكون جائعة كى أتناول طعام الغداء، كما تعلم".

قال صانع القبعات: " ربما ليس فى بداية الأمر، ولكنك تستطيعين أن تُبقِى الساعة الواحدة والنصف قدر ما تشائين".

فسألت أليس: هل هذه هى الطريقة التى تتدبر بها أمورك؟"

هزّ صانع القبعات رأسه بحزن ثم أجاب: "لا أستطيع القول بأننى

أنجح فى ذلك؛ فقد تشاجرنا فى شهر مارس الماضى(قال ذلك وهو يشير بملعقته الصغيرة إلى أرنب مارس البرى)" قبل أن يصاب بالجنون تماما، كما تعلمين - لقد حدث ذلك فى الحفل الغنائى الكبير الذى أقامته ملكة القلوب، وكان علىّ أن أغنى أغنية:

المع، المع، يا وطواط

طير واطلع فى السما

ثم سأل أليس: "ربما تعرفين هذه الأغنية؟"

أجابت أليس: "لقد سمعت شيئا مشابها لها"

تابع صانع القبعات يقول: "إن باقى الأغنية هو:

زى صنية فيها شاى

اطلع رفرف فى السما

المع، المع ـ"

وعندئذ نفض الفأر نفسه وبدأ يغنى وهو نائم: "المع، المع، يا وطواط-" واستمر على هذا المنوال مما اضطرهما إلى قرصه ليتوقف.

وقال صانع القبعات: "حسنا، أوشكت على الانتهاء من المقطع الأول عندما صاحت الملكة قائلة: "إنه يقتل الوقت! اقطعوا رأسه!"

قالت أليس بدهشة :"ما هذه الوحشية !"

تابع صانع القبعات القول بنبرة حزينة: "ومنذ ذلك الحين لم ينفذ الوقت أى شيء أطلبه! فالساعة ثابتة على السادسة ولا تتغير".

خطرت فى بال أليس فكرة رائعة فسألته: "ألهذا السبب أعددت مائدة الشاى؟"

قال صانع القبعات وهو يتنهد: "نعم فإنه يحين دائما وقت تناول الشاى ولا وقت لدينا لغسل الأشياء بين فترة وأخرى".

فسألت أليس: "ولذلك تتنقلون حول المائدة باستمرار؟"

أجاب صانع القبعات: "بالضبط لأن أدوات الشاى تُستخدم على الدوام".

وغامرت أليس وسألت: "ولكن ماذا يحدث عندما تصلون إلى أول المائدة من جديد؟"

وهنا قاطعهما أرنب مارس البرى متثائبا: "دعونا نغير الموضوع فلقد سئمت ذلك. أقترح أن تروى لنا الآنسة الصغيرة قصة".

قالت أليس وقد أصابها الذعر إزاء هذا الاقتراح: "أخشى أننى لا أعرف أية قصص".

فهتف كلاهما: "إذن سيحكى الفأر لنا قُصة! استيقظ أيها الفأر! ثم قرصاه فى جانبيه فى آن واحد.

فتح الفأر عينيه ببطء وقال بصوت مبحوح وضعيف: "لم أكن نائما، لقد سمعت كل كلمة كنتما تقولانها".

قال أرنب مارس البرى: "احكِ لنا قصة!"

وتوسلت أليس إليه: "أجل، أرجوك!"

وأضاف صانع القبعات قائلا: "وأسرع فى سردها وإلا غفوت ثانية قبل أن تنتهى منها".

بدأ الفأر يروى القصة فى عجالة: "كان يا ما كان هناك أخوات ثلاث، وكانت أسماؤهن ألسى ولاسى وتيلى وكن يعشن فى قاع بئر -"

وسألت أليس التى كانت تهتم كثيرا بطرح أسئلة عن الطعام والشراب: "وماذا كن يأكلن؟"

فأجاب الفأر بعد التفكير لدقيقة أو دقيقتين: "كن يأكلن العسل الأسود".

فعلقت أليس بلطف: "تعلم أنهن لا يستطعن ذلك، وإلا لأصابهن المرض".

قال الفأر: "نعم، قد حدث هذا فعلا فقد أصابهن مرض شديد".

حاولت أليس أن تتخيل كيف يمكن أن تكون هذه الحياة، ولكنها شعرت بحيرة بالغة فتابعت تقول: "لكن لماذا يعشن فى قاع البئر؟"

قال أرنب مارس البرى لأليس بجدية بالغة: "تناولى المزيد من الشاى".

فردت أليس بنبرة تنم عن الانزعاج: "ولكنى لم أتناول شيئا بعد؛ لذا لا أستطيع أن أتناول المزيد".

قال صانع القبعات: "تقصدين إنك لا تستطيعين تناول الأقل؛ إذ إنه من السهل تناول المزيد وليس تناول لا شىء".

فقالت أليس: "لم يطلب أحد رأيك".

لكن صانع القبعات قال بلهجة انتصار: "ومن الذى يتدخل فيما لا يعنيه الآن؟"

لم تكن أليس تعرف تماما بما تجيب عن هذا فتناولت شيئا من الشاى والخبز والزبد، ثم التفتت إلى الفأر وكررت سؤالها: "لماذا يعشن فى قاع البئر؟"

ومرة أخرى استغرق الفأر فى التفكير لمدة دقيقة أو دقيقتين ثم قال: "لقد كانت بئرا من العسل الأسود"

فردت أليس بغضب شديد: "ليس هناك شىء من هذا القبيل!" ولكن صانع القبعات وأرنب مارس البرى شرعا يهمسان: "اسكتى! شش! شش!" وأشار الفأر عابسا: "إن لم تلتزمى الأدب من الأفضل أن تنهى القصة بنفسك".

فقالت أليس بتواضع شديد: "لا ، أكمل أرجوك، لن أقاطعك ثانية فمن الجائز أن يكون هناك بئر كهذه".

فقال الفأر بغضب: "بالتأكيد هناك بئر من العسل الأسود!" واستطرد يقول:"وهكذا كانت تلك الأخوات الثلاث – يتعلمن الرسم –"

وسألت أليس وقد نسيت وعدها بعدم المقاطعة: "وماذا يرسمن؟"

قال الفأر دون أن يفكر مطلقا هذه المرة: "العسل الأسود"

قاطعه صانع القبعات قائلا: "أريد فنجانا نظيفا، لنتقدم جميعا كرسيا إلى الأمام"

وتقدم إلى الأمام وهو يتكلم وتبعه الفأر ثم أرنب مارس البرى الذى جلس فى مكان الفأر، وجلست أليس رغما عنها مكان أرنب مارس البرى. كان صانع القبعات الوحيد الذى استفاد من التغيير فى حين

احتلت أليس مكانا "أسوأ بكثير من مكانها السابق؛ لأن أرنب مارس البرى كان قد سكب إبريق اللبن في طبقه.

لم ترغب أليس في إزعاج الفأر ثانية فبدأت تقول بحذر بالغ: "ولكنى لا أفهم كيف حصلن على العسل الأسود ليرسمنه؟"

فأجابها صانع القبعات: "يمكنك أن تحصلى على الماء من بئر الماء، لذا أعتقد أنك تستطيعين أن تحصلى على العسل الأسود من بئر للعسل الأسود -أليس كذلك أيتها الحمقاء؟"

وقالت أليس للفأر، دون أن تعير أى اهتمام لملاحظته الأخيرة - "ولكن هن في داخل البئر فكيف يستطعن ذلك؟"

قال الفأر: "طبعا هُنَّ كُنَّ - في البئر".

أربك هذا الجواب أليس المسكينة كثيرا فتركت الفأر يتابع سرد القصة لبعض الوقت دون أن تقاطعه.

فتابع الفأر يقول وهو يتثاءب ويفرك عينيه لأن النعاس اشتد عليه: "كن قد تعلمن الرسم، "وقد رسمن عدة أشياء - كلها تبدأ بحرف الميم -"

قالت أليس: "ولماذا بحرف الميم؟"

فأجابها أرنب مارس البرى: "ولم لا؟" سكتت أليس وكان الفأر قد أطبق عينيه آنذاك وقد دخل فى نوم خفيف، ولكن عندما قرصه صانع القبعات أفاق ثانية مطلقا صرخة صغيرة وتابع قصته: " كل ما يبدأ بحرف الميم مثل مصيدة الفئران، والمخ، والمتوفر - فبإمكانكم أن تقولوا "متوفر من الوفرة" - هل سبق أن شاهدت رسما للوفرة ؟"

قالت أليس بارتباك بالغ: "ماذا تقول! لا أعتقد"

فقال صانع القبعات: "إذن يجب أن تلزمى الصمت".

كانت هذه الوقاحة أكثر مما تستطيع أليس أن تتحمل فغادرت حفلة الشاى المجنونة وهى فى شدة الاستياء، فاستغرق الفأر فى النوم على الفور ولم ينتبه أى من الاثنين الآخرين إلى أنها ذهبت. ومع ذلك فقد نظرت أليس إلى الوراء مرة أو مرتين وهى يداخلها بعض أمل فى أن ينادوها وآخر مرة رأتهما كانا يحاولان وضع الفأر فى إبريق الشاى.

وقالت أليس وهى تشق طريقها عبر الغابة: "على أى حال لن أذهب إلى هناك مرة ثانية! إنها أسخف حفلة شاى شاهدتها فى حياتى كلها!"

وما أن قالت هذا حتى لاحظت أن إحدى الأشجار بها باب فدار بخاطرها..."أن هذا أمر غريب جدا ولكن كل شىء غريب اليوم فسوف أدخل على أية حال"، وفعلا دخلت أليس من الباب.

ومرة أخرى وجدت نفسها في القاعة الطويلة وبالقرب من المائدة الزجاجية الصغيرة؛ فقالت لنفسها: "سأتدبر أمورى على نحو أفضل هذه المرة"، وبدأت بأخذ المفتاح الذهبى الصغير وفتح الباب المؤدى إلى الحديقة وبعد ذلك شرعت تقضم من نبتة الفطر (إذ كانت تحتفظ بقطعة منها في جيبها) إلى أن أصبحت أطول بقدم ثم مشت عبر الممر الصغير وهكذا وجدت نفسها أخيرا في الحديقة الجميلة وسط أحواض الأزهار الزاهية ونافورات المياه المنعشة.

الفصل الثامن

ملعب الكروكيه الملكى

كانت هناك شجيرة ورد ضخمة بالقرب من مدخل الحديقة تحمل ورودا بيضاء غير أنَّ ثلاثة بستانيين التفوا حولها منهمكين فى تلوين تلك الورود باللون الأحمر. اندهشت أليس من هذا التصرف الغريب فاقتربت لكى تراقبهم، وما أن وصلت إليهم حتى سمعت أحدهم يقول: "انتبه الآن يا رقم ٥! لا تنثر الدهان على هكذا!"

قال رقم ٥ عابسا: "لم أتعمد ذلك فقد دفع رقم ٥ كوعى".

مما جعل رقم ٧ ينظر إليهما ويقول: "إنك دائما تلقى اللوم على الآخرين يا رقم ٥!"

فرد رقم ٥ وقال: "من الأفضل أن تسكت! فقد سمعت الملكة بالأمس تقول إنك تستحق قطع رقبتك!"

وتساءل رقم٢: "لماذا؟"

فقال له رقم ٧: "هذا ليس شأنك يا رقم ٢!"

فنهره رقم ٢ قائلا: بل هذا شأنه! ويجب أن يعرف - هذا بسبب إحضارك جذور زهر التيوليب للطاهية بدلا من البصل".

ألقى رقم ٧ بريشته وبدأ يقول: "يا له من ظلم -" حين وقعت عيناه على أليس وهى واقفة تراقبهم فتوقف عن الكلام على الفور، والتفت إليها الآخران أيضا ثم انحنى جميعهم احتراما لها.

قالت أليس بشىء من الخجل: "أود أن أعرف لماذا تقومون بتلوين تلك الورود؟"

لم يقل رقم ٥ ورقم ٧ شيئا بل نظرا إلى رقم ٢. بدأ رقم ٢ يقول بصوت منخفض"الحقيقة يا آنسة كان يجب أن تكون هذه شجرة ورد أحمر، ولكننا أخطأنا وزرعنا شجرة ورد أبيض، وإن اكتشفت الملكة الأمر ستأمر بقطع رؤوسنا كما تعلمين؛ لذا نبذل أقصى جهدنا قبل أن تأتى حتى" وفى هذه اللحظة نادى رقم ٥ الذى كان ينظر بلهفة عبر الحديقة: "الملكة ! الملكة!" وفى الحال انبطح البستانيون الثلاثة على وجوههم وصدر صوت وقع أقدام كثيرة فنظرت أليس حولها وهى تتلهف لرؤية الملكة.

ظهر فى المقدمة عشرة جنود يحملون عصيا غليظة، وبدوا جميعهم نسخة من البستانيين الثلاثة، إذ كان لهم الهيئة نفسها من ورق

الكوتشينة المستطيل والمسطح وقد امتدت أيديهم وأرجلهم عند الأركان، وتبعهم عشرة من رجال الحاشية وقد تزينوا بالماس ومشوا اثنين اثنين، مثل الجنود، من قبلهم. وبعد هؤلاء جاء أطفال البلاط الملكي وكانوا عشرة، وقد أتوا وهم يقفزون بمرح كل اثنين معا يدا بيد وقد تزينوا كلهم بالقلوب، ثم أتى الضيوف بعدهم وأكثرهم من الملوك والملكات ومن بينهم تعرفت أليس على الأرنب الأبيض. كان يتحدث بطريقة سريعة ومتوترة ويبتسم لكل ما يقال وقد مر دون أن ينتبه إليها. ثم تبعهم أمير القلوب من ورق الكوتشينة حاملا تاج الملكة على وسادة من القطيفة الحمراء وفي آخر هذا الموكب الفخم جاء ملك قلوب الكوتشينة وملكتها.

ساور أليس الشك فيما لو كان عليها الانبطاح على وجهها مثل البستانيين الثلاثة، ولكنها لم تستطع أن تتذكر أنها سمعت بمثل هذا التقليد أثناء مرور موكب وأخذت تفكر..."ثم إنه ما فائدة الموكب إن كان على الناس الانبطاح على وجوههم بحيث لا يستطيعون مشاهدته؟" وهكذا وقفت حيث كانت وانتظرت.

وعندما وصل الموكب أمام أليس توقف الجميع ونظروا إليها وقالت الملكة بحدة: "من هذه؟" قالت ذلك لأمير القلوب الذى انحنى وابتسم ردا على ذلك.

فقالت الملكة وهي تهز رأسها بصبر نافد "غبي!" ثم التفتت إلى أليس وقالت: "ما اسمك يا صغيرتي؟"

قالت أليس في أدب جم: "اسمي أليس يا صاحبة الجلالة"، ثم دار في خاطرها أنهم" ليسوا سوى مجموعة من أوراق الكوتشينة، فلا يجب أن أخشاهم!"

ثم سألت الملكة مشيرة إلى البستانيين الثلاثة الذين تمددوا حول شجرة الورد: "ومن هؤلاء؟" لأنهم كما تعرفون أيها القراء الأعزاء، كانوا منبطحين على وجوههم، وكانت النقوش المطبوعة على ظهورهم تشبه سائر المجموعة من ورق الكوتشينة، ولم تستطع الملكة أن تعرف ما إذا كانوا بستانيين أو جنودا أو أفرادا من الحاشية أو أنهم ثلاثة من أطفالها.

فقالت أليس، وقد تعجبت لشجاعتها: " وكيف لي أن أعرف؟ هذا ليس من شأني".

احمرت الملكة من الغيظ، وبعد أن حدقت فيها بغضب للحظة وكأنها وحش بري، بدأت تصرخ :"اقطعوا رأسها! اقطعوا"_

فقالت أليس بصوت مرتفع وحازم جدا: "ما هذا الكلام الفارغ!" فلاذت الملكة بالصمت على الفور ووضع الملك يده فوق ذراعها وقال في خجل: "تذكري يا عزيزتي... إنها مجرد طفلة!"

ابتعدت الملكة عنه بغضب وقالت لأمير القلوب :"اقلبهم!"

نَفَّذَ أمير القلوب الأمر بحذر شديد؛ مستخدما قدما واحدة.

وقالت الملكة بصوت حاد مرتفع:"انهضوا!"؛ فقفز البستانيون فى الحال وشرعوا ينحنون للملك وللملكة ولأطفال البلاط الملكى ولكل الناس.

فصرخت الملكة: "توقفوا عن ذلك! أنتم تسببون لى دوارا"، ونظرت إلى شجرة الورد وقالت: "ما الذى كنتم تفعلونه هنا؟"

قال رقم ٢ بنبرة متواضعة جدا وهو منحنٍ على ركبة واحدة: "معذرة يا صاحبة الجلالة كنا نحاول -"

قاطعته الملكة التى كانت تتفحص الورود وقالت: "لقد فهمت! اقطعوا رؤوسهم!"، ثم تحرك الموكب وبقى ثلاثة من الجنود؛ لكى يقوموا بإعدام البستانيين تعساء الحظ الذين هرعوا إلى أليس يلتمسون الحماية.

قالت أليس: "لن تُقطع رؤوسكم!" وأسرعت فخبأتهم فى وعاء أزهار ضخم كان بالقرب منها. أخذ الجنود الثلاثة يتجولون لدقيقة أو دقيقتين يبحثون عن البستانيين ثم انصرفوا فى هدوء ليلحقوا بالآخرين.

وصاحت الملكة: "هل قطعت رؤوسهم؟"

فهتف الجنود ردا عليها: "نعم قطعت رؤوسهم إرضاء لجلالتك!"

فردت الملكة قائلة: "عظيم جدا!" ثم سألت أليس: "هل تجيدين لعب الكروكيه؟"

صمت الجنود ونظروا إلى أليس؛ حيث إن السؤال موجه إليها.

فصاحت أليس: "نعم!"

صرخت الملكة قائلة: "هيا إذن! فانضمت أليس إلى الموكب وهى تتساءل عما سيحدث بعد ذلك.

وقال صوت خافت بجانبها: "إنه - إنه يوم رائع!" فإذا به الأرنب الأبيض الذى كان يسترق النظر بلهفة إلى وجهها.

وقالت أليس: "نعم إنه يوم رائع جدا" ثم سألته "ولكن أين الدوقة؟"

فرد الأرنب بصوت مرتبك: "اسكتى! اسكتى!" ثم نظر بقلق فوق كتفه وهو يتحدث ثم وقف على أطراف أصابعه ووضع فمه قريبا من أذنها وهمس: "لقد حكم عليها بالإعدام".

قالت أليس: "لماذا؟"

سأل الأرنب: "هل قُلتِ هذا مؤسف!؟"

قالت أليس: "لا، لم أقل هذا. لا أظن أن ذلك يدعو للشفقة، قلت لماذا؟"

بدأ الأرنب يقول :"لقد صفعت الملكة على أذنيها -" أطلقت أليس صيحة ضاحكة صغيرة فهمس الأرنب بنبرة خوف: "أواه، اسكتى! ستسمعك الملكة! فلقد جاءت الدوقة متأخرة قليلا فقالت الملكة ..."

وهنا صاحت الملكة بصوت مثل الرعد: "خذوا أماكنكم!" فبدأ الناس يجرون فى كل الاتجاهات ويصطدمون بعضهم ببعض غير أنهم استقروا فى أماكنهم سريعا وبدأت اللعبة. أدركت أليس أنه لم يسبق لها أن شاهدت ملعبًا للكروكيه مثل هذا الملعب فى حياتها؛ إذ كان مليئًا بالمرتفعات والحفر والشقوق، وكانت الكرات عبارة عن قنافذ، ومضارب الكرة عبارة عن طيور الفلامنجو، وكان على الجنود أن ينحنوا ويقفوا على أيديهم وأرجلهم حتى يكونوا الأقواس.

كانت العقبة الرئيسية التى واجهت أليس فى البداية هى كيفية التحكم فى طائر الفلامنجو الخاص بها، فقد نجحت فى وضعه تحت ذراعها وتركت ساقيه يتدليان، ولكنها ما أن مدت عنقه بشكل مستقيم وأوشكت أن توجه ضربة إلى القنفذ حتى التفت ونظر إليها باندهاش جعلها تنفجر بالضحك، وعندما أنزلت رأسه وكادت تعاود المحاولة مرة ثانية وجدت ما أثار غضبها فقد بَسَط القنفذ نفسه وبدأ يزحف بعيدا. وإلى جانب هذا كله واجهت أليس الصعوبات أينما أرادت أن تدفع القنفذ، مثل وجود حفرة أو ارتفاع فى الأرض أو تحرك الجنود الذين يمثلون الأقواس فى جميع أركان الملعب، حتى توصلت إلى أن ممارسة اللعب هو أمرٌ فى غاية الصعوبة.

وبعد ذلك أخذ اللاعبون يلعبون جميعا فى آن واحد دون أن ينتظروا أدوارهم، كما كانوا يتشاجرون طوال الوقت ويتقاتلون؛ كى يصيلوا إلى

القنافذ، وبعد قليل ثارت الملكة غضبا وانطلقت تدق الأرض بقدميها وتصرخ مرة كل دقيقة تقريبا: "اقطعوا رأسه!" أو "اقطعوا رأسها!".

وبدأت أليس تشعر بالانزعاج على الرغم من عدم وجود أى نزاع بينها وبين الملكة، لكنها علمت أن النزاع قادم لا شك فيه فأخذت تفكر... "ماذا سيحدث لى؟ فإنهم مولعون بقطع رؤوس الناس هنا وإننى لأعجب كيف أن هنالك من تبقى على قيد الحياة!"

وأخذت تنظر حولها بحثا عن طريقة للهرب وتتساءل عما إذا كانت تستطيع الفرار دون أن يراها أحد، وفجأة لاحظت ظهور شىء غريب فى الهواء، وقد أدهشها هذا الشىء كثيرا فى بادئ الأمر، ولكن بعد أن راقبته لبضع دقائق أدركت أنه ابتسامة عريضة فقالت فى نفسها: "إنها القطة شيشاير! أخيرا لدى من أتحدث إليه".

قالت القطة فور اكتمال فمها بشكل كاف يتيح الكلام: "كيف تسير الأمور معك؟"

وانتظرت أليس حتى ظهرت العينان ثم هزت رأسها وقالت فى نفسها: "لا جدوى من الحديث حتى تظهر أذناها أو عندما تظهر أذن واحدة على الأقل"، وبعد دقيقة ظهر الرأس كاملا فتركت أليس طائر الفلامنجو، وبدأت تحكى أحداث المباراة وهى سعيدة لوجود من يصغى إليها، فى حين قررت القطة أن ما ظهر منها كاف الآن ولا داعى لظهورها بشكل مكتمل.

قالت أليس وقد خالطت نبرتها رنَّة استياء: "لا أظن أنهم يلعبون وفقا للشروط، كما أنهم يتشاجرون بعنف فلا يستطيع المرء سَمَا ع صوته، ولا يبدو أن لديهم أية قواعد محددة، ولو كانت هنالك أية قواعد فلا أحد يلتزم بها – وليس لديك أية فكرة كم هو مربك أن تكون كل أدوات اللعبة كائنات حية فمثلا، هنالك الأقواس التى كان علىّ اجتيازها للوصول إلى الجهة الأخرى من الملعب أو تسديد ضربة إلى قنفذ الملكة، ولكنه هرب حين رأى قنفذى متجها نحوه!"

قالت القطة بصوت خفيض: "هل أعجبتك الملكة؟"

أجابت أليس: "ليس على الإطلاق، فهى –" وعندئذ لاحظت أن الملكة خلفها تماما تستمع إليها فتابعت تقول: "من المحتمل أن تفوز فلا ضرورة لإنهاء المباراة"، فابتسمت الملكة وواصلت طريقها.

وسأل الملك أليس وهو ينظر إلى رأس القطة بفضول بالغ: "مع من تتحدثين؟"

قالت أليس: "مع صديقتى – القطة شيشاير، اسمح لى أن أقدمها لك".

قال الملك: "لا يعجبنى منظرها أبدًا ولكن يمكنها أن تقبل يدى إن شاءت".

فقالت القطة: "أفضل ألا أفعل".

قال الملك: "الزمى أدبك ولا تنظرى إلىّ هكذا" وانتقل وراء أليس وهو يتكلم.

قالت أليس: "يمكن للقط أن ينظر إلى الملك لقد قرأت ذلك فى كتاب ما ولكنى لا أتذكر أين".

وهنا قال الملك بحزم بالغ: "يجب إبعاد هذه القطة"، ثم نادى الملكة التى كانت تمر بينهم فى تلك اللحظة وقال: "يا عزيزتى، أرجو أن تأمرى بإبعاد هذا القطة!"

ولأن للملكة طريقة واحدة لحل كل الصعوبات كبيرة كانت أم صغيرة فقد قالت دون أن تنظر إلى الملك: "اقطعوا رأسها!"

فقال الملك بلهفة: "سآتى بالجلاد بنفسى"، ثم ذهب مسرعا.

وقررت أليس أنه من الأفضل أن تذهب لمراقبة سير المباراة، حينئذ سمعت صوت الملكة وهى تصيح بحدة. وكانت قد سمعتها تحكم على ثلاثة لاعبين بالإعدام؛ لأنهم غفلوا عن أدوارهم ولم يعجبها سير الأمور لأن الفوضى عمت المباراة فلم تعد تدرى إذا أتى دورها أن تلعب أم لا؛ مضت أليس إذن تبحث عن قنفذها.

ولما كان القنفذ مشتبكا مع قنفذ آخر فى هذه اللحظة بدا لأليس أنها فرصة ممتازة لضرب أحدهما بالآخر، ولكن الصعوبة الوحيدة

تمثلت فى أن طائر الفلامنجو الخاص بها كان قد عبر إلى الجانب الآخر من الحديقة، وشاهدته أليس وهو يحاول جاهدا أن يطير إلى أعلى الشجرة.

وما أن أمسكت به وأعادته حتى كان اشتباك القنفذين قد انتهى واختفى كل منهما عن الأنظار، فقالت أليس فى نفسها: "لا يهم هذا كثيرا بما أنَّ كل الأقواس قد اختفت من هذا الجانب من الحديقة". ثم وضعت طائر الفلامنجو تحت ذراعها كيلا يهرب ثانية، وعادت تكمل حديثها مع صديقتها.

وحين رجعت إلى القطة شيشاير دهشت؛ إذ وجدت أن جمهورا ضخما قد تجمع حولها وكان هنالك نزاع قائم بين الجلاد والملك والملكة الذين كانوا كلهم يتحدثون فى آن واحد، فى حين لزم الباقون الصمت وظهر عليهم قلق شديد.

وفى اللحظة التى ظهرت فيها أليس، ناشدها الثلاثة كى تسوى المسألة وقد أعادوا أمامها كل ما قدموه من حجج، ومع ذلك وجدت أنه من الصعب جدا فهم ما يقولونه؛ إذ كانوا كلهم يتحدثون فى آن واحد.

فكان رأى الجلاد أنه يستحيل قطع الرأس إذا لم يكن هنالك جسد يُقطع الرأس منه، وأنه لم يسبق له أن نفذ عملا كهذا من قبل وأنه لن يقوم بذلك الآن.

وكان رأى الملك أن كل شيء له رأس يمكن أن يقطع رأسه، وأن ما يقوله الجلاد كلام غير منطقى.

وأما الملكة فأنذرتهم إن لم ينهوا نقاشهم فورا، فإنها ستنفذ حكم الإعدام على جميع الحاضرين. (وهذه الملاحظة الأخيرة هى التى جعلت المجموعة بأكملها تبدو واجمة وقلقة جدا).

لم تستطع أليس أن تفكر فى أى شيء تقوله سوى: "إن القطة ملك للدوقة فمن الأفضل أن تسألوها هى".

فقالت الملكة للجلاد: "إن الدوقة فى السجن فلتأتوا بها إلى هنا"، فانطلق الجلاد كالسهم ليحضرها، وبدأ رأس القطة يبهت لحظة ذهاب الجلاد وحين عاد مع الدوقة كانت القطة قد اختفت تماما، فانطلق الملك والجلاد ذهابا وإيابا يبحثان عنها فى حين عاودت بقية المجموعة اللعب.

الفصل التاسع

قصة سلحف البحر الساخر

قالت الدوقة وهى تدس ذراعها بمحبة تحت ذراع أليس وهما تمشيان معا: "لا يمكنك أن تتصورى كم أنا مسرورة لرؤيتك مرة ثانية يا صديقتى العزيزة!"

فرحت أليس كثيرا لتجدها معتدلة المزاج، ودار فى خاطرها أن رائحة الفلفل النفاذة هى ما جعلتها شرسة جدا عندما التقت بها فى المطبخ من قبل.

فقالت لنفسها (دون تفاؤل كثير): "عندما أصبح دوقة لن أحتفظ بأى فلفل فى مطبخى على الإطلاق؛ فالحساء جيد جدا بدونه – فربما الفلفل هو الذى يجعل فى طباع الناس حدة" وتابعت تفكر وهى سعيدة؛ إذ توصلت إلى قاعدة جديدة وهى أن "الخل يجعلهم غاضبين – والبابونج يجعلهم لاذعين – وسكر النبات وأمثاله تجعل الصغار معتدلى المزاج. وكم أتمنى أن يعرف الكبار ذلك وحينئذ لن يبخلوا بها على صغارهم".

نسيت أليس تماما وجود الدوقة ولذلك فوجئت عندما سمعت صوتها يهمس فى أذنها: "أنت تفكرين فى شىء يا عزيزتى، ولهذا لا تتحدثين معى. لن أخبرك الآن ما هى الحكمة فى ذلك، ولكننى سأتذكر هذا بعد قليل".

فعلقت أليس قائلة بروح المخاطرة: "ربما ليس فى ذلك حكمة"

فأجابت الدوقة: "هس! لا تقولى هذا أيتها الطفلة! لكل شىء حكمة إن استطعنا فقط أن نجدها" ثم اقتربت أكثر من أليس وهى تتحدث. لم تشعر أليس بارتياح لقربها الشديد منها لسببين: أولا، لأن الدوقة كانت فى منتهى القبح، وثانيا لأن الدوقة تبلغ من الطول ما يسمح لذقنها المدبب أن يتكئ على كتف أليس فيؤلمها. اضطرت لتحمل وخز تلك الذقن حتى لا تكون وقحة وقالت كى تكمل الحديث: "إن المباراة تسير بشكل أفضل الآن".

فقالت الدوقة: "نعم والحكمة فى ذلك هى أن الحب يحقق المعجزات!"

همست أليس قائلة: "قد قيل إن ذلك يحدث عندما يهتم كل إنسان بما يعنيه فقط!"

فقالت الدوقة وهى تدفع بذقنها الصغير الحاد فى كتف أليس: "هذا ما أقصده" ثم أضافت:

"والحكمة فى ذلك هى أن نهتم بمعنى الكلمات وليس بكيفية نطقها".

فكرت أليس فى نفسها ..."كم هى مولعة بإيجاد حكمة لكل شىء".

وقالت الدوقة بعد قليل: "أظن أنك تتساءلين لماذا لا أضع ذراعى حول خصرك. السبب هو أننى قلقة من الاقتراب من طائر الفلامنجو، فهل أحاول؟"

أجابت أليس بحذر وهى لا تشعر بأية رغبة فى قيامها بذلك :"قد يقوم بعضك".

قالت الدوقة: "معك حق، فطيور الفلامنجو وطيور المستردة كلاهما يعض والحكمة فى ذلك هى أن -"الطيور على أشكالها تقع".

فأشارت أليس: "ولكن المستردة ليست طيرا".

فأجابت الدوقة: "فعلا! إن تعريفك للأشياء دقيق للغاية!".

قالت أليس: "أظن أن المستردة نوع من المعادن".

وقالت الدوقة التى بدت مستعدة لتوافق على كل شىء تقوله أليس: "طبعا هى كذلك إذ لدينا هنا منجم ضخم للمستردة، والحكمة فى ذلك هى -"كلما كان لدى المزيد كان لديك أقل"

قالت أليس باستغراب: "ولكن المستردة من الخردل، وهو نوع من الخضر. صحيح أنّه لا يبدو كذلك، ولكنه نوع من الخضر".

قالت الدوقة: "أوافقك تماما. والحكمة في ذلك هي -"كن ما تبدو" أو إذا ما كنت ترغبين في صياغتها بشكل مبسط أكثر -" لا تتخيلي أنك لست غير ذلك مما يمكن أن يبدو للآخرين أنك ما أنت عليه، أو ما يمكن أن تكوني وليس غير ما كنت أنت عليه سيبدو لهم خلاف لذلك".

قالت أليس بأدب بالغ: "أظن أنني سأفهم ذلك فهما أفضل إذا كتبته؛ لأنني أعجز عن فهمه بهذا الشكل".

فأجابت الدوقة بفخر: "هذا شيء لا يُذكر مقارنة بما أستطيع قوله إن أردت".

فقالت أليس: "أرجوك ألا ترهقي نفسك بقول المزيد".

قالت الدوقة: "هذا من دواعي سروري ويسعدني أن أهديك كل ما قلته حتى الآن".

فكرت أليس... "يا له من نوع رخيص من الهدايا! يسعدني أن هدايا أعياد الميلاد ليست مجرد أقوال!" ولكنها لم تخاطر وتنطق بذلك بصوت مرتفع.

سألتها الدوقة بدفعة ثانية من ذقنها الصغير الحاد: "هل عدت إلى التفكير مرة ثانية؟"

فردت أليس بحدة لأنها بدأت تشعر بشيء من القلق: "من حقى أن أفكر" فقالت الدوقة: "لديك الحق تماما مثلما للخنازير الحق فى الطيران؛" وعندئذ ولدهشة أليس، اختفى صوت الدوقة عند منتصف كلمة "حكمة" المفضلة لديها، وبدأت الذراع المتعلقة بذراعها ترتجف. تطلعت أليس، وهناك وقفت الملكة أمامهما متجهمة مثل عاصفة رعدية وقد عقدت ذراعيها على صدرها، فبادرت الدوقة بالقول بصوت ضعيف خافت: "إنَّه يوم رائع يا صاحبة الجلالة!"

صاحت الملكة وهى تدق الأرض بقدميها: "إنى أنذرك إما أن ترحلى أو تُقطع رأسك، وهذا يجب أن يتم فى أقصر وقت ممكن! لكِ أن تختارى!".

اختارت الدوقة أن ترحل واختفت على الفور.

ثم قالت الملكة لأليس: "لنتابع اللعب". ولم تجرؤ أليس أن تنطق بكلمة فتبعتها فى بطء إلى ملعب الكروكية. وكان الضيوف قد استغلوا فرصة غياب الملكة فاستلقوا فى الظل؛ ليستريحوا ولكن ما أن ظهرت حتى سارعوا للعودة إلى اللعب، فقد نبهتهم الملكة إلى أن أى تأخير سوف يكلفهم حياتهم.

لم تكف الملكة عن الشجار مع اللاعبين أثناء لعبهم فكانت تصرخ قائلة: "اقطعوا رأسه!" أو "اقطعوا رأسها!" مما اضطر الجنود للتخلي عن دورهم بصفتهم أقواسا حتى يتمكنوا من أخذ الذين حكمت عليهم إلى السجن، فلم تمض نصف ساعة أو ما يقاربها حتى لم تعد هناك أية أقواس، وكان كل اللاعبين، ماعدا الملك والملكة وأليس، فى السجن، وقد حكم عليهم جميعا بالإعدام.

غادرت الملكة وهى تلهث وقالت لأليس: "ألم تقابلى السلحف الساخر بعد؟"

فأجابت أليس :"لا! فأنا لا أعرف من هو السلحف الساخر".

فقالت الملكة: "هو ما يُصنع منه حساء السلحف الساخر".

قالت أليس: "لم أقابله أو أسمع عنه قط".

فقالت الملكة: "هيا بنا نذهب إليه وسيحكى لكِ عن نفسه".

وعندما انطلقتا معا، سمعت أليس الملك يقول بصوت منخفض إلى المجموعة المرافقة: "لقد تم العفو عنكم جميعا"؛ فقالت فى نفسها: "هذا شىء عظيم!" إذ إنها قد شعرت بالتعاسة لما أصدرته الملكة من أحكام كثيرة بالإعدام. وسرعان ما التقتا بحيوان الجريفن وهو مستلقٍ فى الشمس. فقالت له الملكة: "استيقظ أيها الكسول! وخذ هذه الفتاة الصغيرة لتقابل السلحف الساخر وتتعرف عليه؛ إذ يجب أن أعود

وأشرف على بعض أحكام الإعدام التى أصدرتها"، ثم غادرت تاركة أليس بمفردها مع الجريفن الذى لم يعجبها منظره، ولكنها ظنت أن البقاء معه سيكون آمنا أكثر من اللحاق بتلك الملكة المتوحشة، فانتظرت.

اعتدل الجريفن فى جلسته وفرك عينيه ثم أخذ يراقب الملكة حتى اختفت عن الأنظار، وبعد ذلك أخذ يضحك ضحكة خافتة ويقول: "يا لها من مهزلة!"

قالت أليس: "لماذا؟"

قال الجريفن: "لأن كل ذلك فى مخيلتها فهم لا يعدمون أحدا! هيا تعالى!"

فكرت أليس وهى تسير وراءه ببطء: "الجميع هنا يقول هيا تعالى!" لم يسبق أن وجه إلى أحدٍ هذا الكم من الأوامر من قبل!".

لم يبتعدا كثيرا حتى شاهدا السلحف الساخر عن بُعد؛ جالسا حزينا وحيدا على طرف صخرة صغيرة، وعندما اقتربا أكثر سمعته أليس يتنهد وكأنما قلبه سينفطر، فأحست بالشفقة العميقة نحوه، وسألت الجريفن: "ما سبب حزنه؟" فأجاب الجريفن تقريبا بالكلمات السابقة نفسها: "إن كل هذا فى مخيلته فهو ليس حزيناً. هيا نذهب!".

وهكذا صعدا إلى السلحف الساخر الذى نظر إليهما بعينين ضخمتين مليئتين بالدموع، ولكنه لم يقل شيئا.

قال الجريفن: "لدى الفتاة الصغيرة رغبة قوية فى التعرف على تاريخك".

قال ذكر السلحفاة بنبرة عميقة مكتومة: "سأخبرها ولكن اجلسا كلاكما ولا تنطقا بأية كلمة حتى أنتهى".

وهكذا جلسا، ولم يتحدث أحد لبضع دقائق. حدثت أليس نفسها..."لا أرى كيف يمكنه أن ينتهى إذا لم يبدأ"، ولكنها انتظرت فى صبر.

وأخيرا قال السلحف الساخر بتنهيدة عميقة: "ذات مرة كنت ذكر سلحفاة حقيقياً".

وتبع هذه الكلمات صمت طويل قطعه بين الحين والآخر صوت شكوى من الجريفن"أوووه! أوووه!" وصوت بكاء السلحف الساخر المستمر. كادت أليس أن تنهض وتقول: "شكرا يا سيدى على قصتك المثيرة"، ولكنها شعرت أنه لابد أن هنالك المزيد، فجلست بلا حراك ولم تقل شيئا.

وأخيرا تابع السلحف الساخر بصوت يتخلله قليل من البكاء بين الحين والآخر: "حين كنا صغارا"، كنا نذهب إلى المدرسة فى البحر وكان الأستاذ سلحفاة بحر عجوز – غير أننا كنا نسميه سلحفاة البر فسألت أليس: "لماذا سميتموه السلحفاة إن لم يكن كذلك؟"

فأجاب السلحف الساخر بغضب: "سميناه أستاذ سلحفاة لأنه علمنا! أنت حقا مملة جدا!"

وأضاف الجريفن: "عليك أن تخجلي من نفسك لطرحك مثل هذا السؤال الغبي". وبعد ذلك جلس كلاهما في صمت ونظرا إلى أليس المسكينة التي شعرت أنها تريد أن تختبئ تحت الأرض من شدة خجلها، وأخيرا قال الجريفن للسلحف الساخر: "أكمل أيها الصديق العزيز! لا تُضِع اليوم كله!" فمضى السلحف يقول: "كنا نذهب إلى المدرسة في البحر مع أنك ربما لا تصدقين ذلك–"

فقاطعته أليس: "لم أقل ذلك!"

فقال السلحف الساخر: "بل قلتِ".

وأضاف الجريفن قبل أن تستطيع أليس أن تنطق بكلمة: "لا تتكلمي!"

فتابع السلحف الساخر يقول: "لقد حصلنا على أفضل تعليمٍ – فكنا نذهب إلى المدرسة كل يوم –"

فقالت أليس: "وأنا أيضا كنت أذهب إلى مدرسة كل يوم فلا تكن مغرورا هكذا".

فسألها السلحف الساخر بشيء من القلق: "وماذا عن المقررات الإضافية؟"

فأجابت أليس: " تعلمنا اللغة الفرنسية والموسيقى".

قال السلحف الساخر: "والغسيل؟"

فقالت أليس بسخط: "بالتأكيد لا!"

فقال السلحف الساخر بنبرة تنم عن الارتياح الشديد: "آه! إذن مدرستك ليست جيدة فإن"اللغة الفرنسية والموسيقى والغسيل" كانت كلها إضافات للمقررات الإجبارية فى مدرستنا".

قالت أليس: "لم تكونوا فى حاجة إلى"الغسيل" ما دمتم تعيشون فى قاع البحر".

قال السلحف الساخر وهو يتنهد: " لم أستطع دفع مصاريف المواد الإضافية فى البرنامج المتميز فدخلت البرنامج العادى فقط".

سألت أليس: "وماذا تعلمت فى هذا البرنامج؟"

أجاب السلحف الساخر: "بدايةً تعلمنا القلاءة والكباتة ثم مختلف فروع الحساب – السمع والفرح والكرب والنسمة".

وسألت أليس: "لم أسمع قط عن فرع اسمه الكرب ما هو؟"

رفع الجريفن قدميه بدهشة وأشار قائلا: "لم تسمعى بالكرب! ولكن تعرفين ما الفرح على ما أظن؟"

قالت أليس بارتياب: "نعم إنه يعنى - أن - نشعر- بالسعادة".

تابع الجريفن يقول: "ولكنك حيث إنكِ لا تعرفين ما هو الكرب فأنتِ فى غاية السذاجة".

لم تشعر أليس أن لديها الشجاعة لتطرح المزيد من الأسئلة فالتفتت إلى السلحف الساخر وقالت: "وماذا تعلمتم أيضا؟"

أجاب السلحف الساخر وهو يعد المقررات على زعانفه: "تعلمنا: التفريخ القديم والحديث والفوتغرافيا والتلبية الفنية - وكان أستاذ التلبية الفنية ثعبانا بحريا عجوزا اعتاد أن يأتى مرة فى الأسبوع، وقد علمنا السم والتحطيط والتنويم بالزيت؟"

قالت أليس :"وكيف كان ذلك"؟

قال السلحف الساخر: "لا أستطيع أن أريك ذلك بنفسى فإنّ زعانفى متخشبة الآن، كما أن الجريفن لم يتعلم ذلك قط".

قال الجريفن: "لم يكن لدى الوقت لذلك ولكنى ذهبت إلى أستاذ كابوريا مدرس اليونانى واللاتينى القديم وقد كان عجوزا حقا".

قال السلحف الساخر متنهدا: "لم أذهب إليه قط فكان يقول لهم لاقينى ولا تغدينى وهذا ما قيل عنه".

قال الجريفن وهو يتنهد بدوره: "هذا ما كان يقوله بالفعل". وخبأ كلاهما وجهه.

قالت أليس بسرعة لكى تغير الموضوع: "وكم ساعة فى اليوم كنتم تدرسون؟".

قال السلحف الساخر: "عشر ساعات فى اليوم الأول، تسع فى الثانى، وهكذا".

وصاحت أليس باستغراب: "يا له من جدول غريب!"

فأشار الجريفن بالقول: "لهذا السبب هى تسمى حصصا، لأن حصة الفرد تنقص من يوم إلى يوم".

لم تسمع أليس بمثل تلك الفكرة من قبل فتدبرت الأمر قليلا ثم انطلقت تقول: "إذن لابد أن يكون اليوم الحادى عشر إجازة".

قال السلحف الساخر: "طبعا كان إجازة".

فقالت أليس بلهفة: "وماذا فعلتم فى اليوم الثانى عشر؟"

إلا أن الجريفن قاطعها بنبرة حاسمة وقال: "كفانا حديثًا عن الدروس فلتحكِ لها عن الألعاب الآن".

الفصل العاشر

رقصة الإستاكوزا الرباعية

تنهد السلحف الساخر بعمق واضعا إحدى زعانفه على عينيه، ومتطلعا إلى أليس وحاول أن يتكلم ولكن صوته اختنق بالبكاء لدقيقة أو دقيقتين، فقال الجريفن: "يبدو أن هناك شوكة سمكة قد انحشرت في حلقه"، ثم بدأ يهزه ويخبطه على ظهره حتى استعاد السلحف الساخر صوته، وواصل حديثه والدموع تسيل على خديه: "ربما لم تعيشى كثيرا تحت البحر" (قالت أليس: "لا! لم يحدث أن عشت تحت البحر") "وربما لم تقابلى الإستاكوزا قط –" (بدأت أليس تقول: "سبق لى أن تذوقته ذات مرة"، ولكنها سيطرت على نفسها بسرعة وقالت: "لا، لم يسبق لى قط") – إذن لا يمكن أن تكون لديك أية فكرة كم هى رائعة رقصة الإستاكوزا الرباعية!"

قالت أليس: "أحقًا؟ أى نوع تلك الرقصة؟"

قال الجريفن: "تبدأ الرقصة بتشكيل صف على شاطئ البحر"

فصاح السلحف الساخر: "بل صفين! يتألفان من كلاب البحر والسلاحف وسمك السلمون وآخرين، وبعد ذلك يتم إزالة كل قناديل البحر من الطريق"

وقاطعه الجريفن قائلا: "ويستغرق ذلك بعض الوقت".

ثم قال السلحف الساخر: "ثم تتقدمين خطوتين"

وصاح الجريفن: "كل مرة مع الإستاكوزا بوصفك شريكة في الرقص!"

وقال السلحف الساخر: "طبعا، تتقدمين خطوتين وتتوجهين إلى شركاء الرقص"

وتابع الجريفن يقول: "فتستبدلين الإستاكوزا وتعودين إلى الترتيب نفسه".

ثم تابع السلحف الساخر: "ثم تقذفين"

صاح الجريفن بقفزة في الهواء: "بالإستاكوزا! أبعد ما يمكنك إلى البحر"

صرخ الجريفن: "وتسبحين في إثرها!"

هتف السلحف الساخر وهو يثب مرحا بشدة: "وتتشقلبين في البحر!"

صرخ الجريفن بأعلى صوته: "ثم تستبدلين الإستاكوزا مرة ثانية!"

وقال السلحف الساخر خافضا صوته فجأة: "وتعودين إلى الشاطئ مجددا، وتلك هى أول سلسلة حركات للرقصة" ثم جلس المخلوقان اللذان كانا يقفزان كمجنونين طوال هذا الوقت وخيم عليهما حزن بالغ وهدوء ونظرا إلى أليس.

قالت أليس فى خجل: "لابد أنها رقصة جميلة جدا".

قال السلحف الساخر: "هل ترغبين في مشاهدة جزء صغير منها؟"

قالت أليس: "أرغب فى ذلك جداً".

فقال السلحف للجريفن: هيا، لنقم بأول سلسلة من حركات الرقصة يمكننا الاستغناء عن الإستاكوزا طبعا. ومن سيغنى؟"

قال الجريفن: "أوه، غن أنت. لقد نسيت الكلمات".

وهكذا بدأ يرقصان بوقار حول أليس وبين الحين والحين يدوسان على أصابع قدميها عندما يمران بالقرب منها ويلوحان بقائمتيهما الأماميتين؛ ليشيرا إلى الوقت فى حين أخذ السلحف الساخر يغنى بإيقاع بالغ البطء ونبرة ملؤها الحزن:

"قال السمك الأبيض للحلزون:

"ياللا امشى بسرعة شوية"

قالت له السمكة البيضة:

"فيه درفيلة جايه عليه

وفوق ديلى دايسة بقوة

بص وشوف الإستاكوزا

بص وشوف الدرفيلة

جريوا بسرعة عننا

ووصلوا الشط قبلنا

ياله تعالى وارقص هنا

ح ترقص آه

ح ترقص لا

ياله ارقص عندنا

لما نوصل ح يشيلونا

وفى الهوا ح يطيرونا

وجوه البحر ح يرمونا

إنت والإستكوزا وأنا"

رد الحلزون وقال

وهو بيبص لورا:

"لا لا لا مش أنا

مش عايز أرقص هنا

لا مش ح أرقص

لا مش عايز

لا مش ح ابعد

من هنا

قالت السمكة للحلزون:

"لما نبعد من هنا

ح نقرب من هناك

وإن بعدنا عن إنجلترا

أدى فرنسا هناك

جمد قلبك هنا

ياله وارقص عندنا

ح ترقص آه

ح ترقص لا

ياله ارقص عندنا

وقالت أليس وقد سعدت بانتهاء الأغنية: "شكرا لكما، إنها لرقصة مثيرة جدا تستحق المشاهدة وقد أحببت تلك الأغنية الغريبة عن السمك الأبيض!"

قال السلحف الساخر: "بالنسبة للسمك الأبيض فهل سبق أن رأيته؟"

قالت أليس: "نعم رأيته فى وجبة الغد" - (وهى تقصد الغداء) ولكنها تمالكت نفسها بسرعة فقال السلحف: "لست أدرى ماذا تقصدين بالغد، ولكن إن كنت قد شاهدته فإنك إذن تعرفين شكله".

أجابت أليس وقد استغرقها التفكير: "أظن ذلك فأذياله فى أفواهه وهو مغطى بفتات الخبز".

ولكن السلحف الساخر قال: "أنت مخطئة بشأن فتات الخبز ستجرفها مياه البحر ولكنه يضع بالفعل ذيله فى فمه، ويغطى جسمه فتات الخبز والسبب هو -" وهنا تثاءب السلحف الساخر وأغلق عينيه ثم قال للجريفن: "أخبرها عن السبب وعن كل شىء".

قال الجريفن: "إن السبب هو أنه يذهب إلى الرقص مع الإستاكوزا فيُلقى به إلى البحر، وكان عليه أن يبتعد مسافة طويلة فوضع ذيله فى فمه بسرعة، ولم يستطع أن يخرجه ثانية. هذا كل ما فى الأمر".

قالت أليس: "شكرا لكما، هذا مثير جدا، لم يتح لى من قبل تلك المعرفة الواسعة عن السمك الأبيض".

قال الجريفن: "أستطيع أن أخبرك بأكثر من ذلك إن أردت، فهل تعرفين لماذا يدعى السمك الأبيض؟"

قالت أليس: "لم أفكر فى هذا الأمر قط! لماذا؟"

قال الجريفن بجدية تامة: "إنه يبيض الأحذية!"

اندهشت أليس تماما ورددت بنبرة حائرة: "يبيض الأحذية!"

قال الجريفن: "نعم! فبماذا تنظفين حذاءك؟ أقصد ما الذى يجعله لامعا هكذا؟"

نظرت أليس إلى حذائها وفكرت قليلا قبل أن تعطى جوابها. "أعتقد أنه يتم تلميعه بالورنيش".

إلا أن الجريفن تابع بصوت عميق: "تنظف الأحذية تحت البحر بواسطة السمك الأبيض"

سألت أليس بنبرة تعبر عن فضول بالغ: "ومم تُصنع تلك الأحذية؟"

أجاب الجريفن وقد كاد صبره أن ينفد: "النعول مصنوعة من سمك الموسى وجلد ثعبان البحر، فأى أبله يعرف ذلك".

قالت أليس التى ما زالت تفكر فى الأغنية: "لو كنت مكان السمك الأبيض لقلت للدرافيل أن تبقى بعيداً ولا تذهب معنا!"

قال السلحف الساخر: "كانت مجبرة على قبولها معها فما من سمك حكيم يذهب إلى أى مكان دون أى درفيل، فالهدف والدرفيل متشابهان فى النطق باللغة الإنجليزية "بربوس" و"بربوس".

قالت أليس بنبرة تعبر عن دهشة كبيرة: "حقا؟"

قال السلحف الساخر: "طبعا فلو جاءتنى إحدى الأسماك وأخبرتنى بأنها ذاهبة فى رحلة لقلت لها: "بأى "بوربوس"؟"

قالت أليس: "لعلك تقصد "بربوس" أى هدف؟"

فأجاب السلحف الساخر بلهجة تدل على الاستياء: "أنا أقصد ما أقول".

وأضاف الجريفن: "هيا، دعينا نستمع إلى بعض مغامراتك".

قالت أليس بشىء من الخجل: "يمكننى أن أخبركما عن مغامراتى بدءا من هذا الصباح. لكن ما من فائدة من تذكر أمس؛ لأننى كنت إنسانة مختلفة آنذاك".

قال السلحف الساخر: "فسرى ذلك".

قال الجريفن وقد نفد صبره: "لا، لا! المغامرات أولا، إن التوضيحات تستغرق وقتا طويلا".

وهكذا بدأت أليس تخبرهما عن مغامراتها منذ أن رأت الأرنب الأبيض، ولكنها كانت متوترة فى بادئ الأمر إذ اقترب المخلوقان منها كل واحد من جهة، وقد فتحا عينيهما وفمهما على اتساعهما لكنها استجمعت شجاعتها ومضت فى روايتها. استمعا إليها فى هدوء تام غير

أنهما ما أن وصلت إلى المقطع الذى رددت فيه أغنية "انت عجوز يا بابا وليم" لدودة القز واختلطت عليها الكلمات حتى تنهد السلحف الساخر وقال: "هذا أمر غريب جدا".

قال الجريفن: "إنه أغرب ما يكون".

ردد السلحف مفكرًا: "أتت كلها مختلفة! أود أن أسمعها تحاول أن تردد شيئا الآن. أطلب منها أن تبدأ"، ونظر إلى الجريفن وكأنما اعتقد أن له سلطة ما على أليس.

قال الجريفن: "قفى ورددى: "إنه صوت الكسول".

فكرت أليس ..."عجبا لتلك المخلوقات! إنها تأمرنى وتجعلنى أردد الدروس! ربما كانت المدرسة أفضل!" ولكنها وقفت وبدأت تردد الأغنية، إلا أنها تذكرت رقصة الإستاكوزا الرباعية التى سيطرت على تفكيرها فلم تدرِ ما تقول فأتت الكلمات غريبة جدا حقا:

سمعت الإستاكوزا بيقول

دخلت الفرن واستويت

ولازم أحط على شعرى زيت

وزى البطة لما تبريش

هو بأنفه يشد حزامه وزرايره

ويقلب صوابع رجليه

قال الجريفن: "هذا مختلف عما اعتدت أن أقوله عندما كنت طفلا".

وقال السلحف الساخر: " أما أنا فلم أسمع هذه الأغنية من قبل ولكنها بلا معنى".

لم تقل أليس شيئا وجلست ووجهها بين يديها تتساءل إن كانت الأمور ستعود إلى طبيعتها وسابق عهدها ثانية.

ثم قال السلحف الساخر للجريفن: "اطلب منها أن تشرح لى هذه الأغنية".

ولكن الجريفن قال بسرعة: "لا يمكنها أن تفعل ذلك، ثم وجه كلامه إلى أليس قائلا: أكملى الفقرة الثانية".

إلا أن السلحف الساخر أصر فى إلحاح: "لكن ماذا عن أصابع قدميه؟ كيف استطاع أن يقلبها بأنفه؟"

قالت أليس: "إنه الوضع الأول فى الرقصة"، إلا أنها كانت فى حيرة كبيرة بشأن الأمر كله، وتمنت أن يغيروا الموضوع.

ولكن الجريفن ردد بصبر نافد: "تابعى الفقرة التالية. إنها تبدأ بـ عديت على الجنينة".

لم تجرؤ أليس على العصيان مع أنها أحست أنها ستخطئ من جديد، فمضت تنشد بصوت مرتعش:

"عديت على الجنينة ولمحت بعين واحدة

البومة والإستاكوزا بيتقاسموا التورتة –"

قاطعها السلحف الساخر قائلا: "ما فائدة تكرار كل هذا الكلام إن لم تشرحيه وأنت تقولينه؟ إنه أكثر ما سمعته غموضا فى حياتى!"

وقال الجريفن: "أجل أعتقد أنه من الأفضل ألا تكملى الأغنية" وفرحت أليس لذلك.

ولكن الجريفن مضى يقول: "هل تحبين أن تؤدى خطوات أخرى لرقصة الإستاكوزا الرباعية؟" أم تودين أن يغنى لكِ السلحف؟"

أجابت أليس بلهفة شديدة: "أرجو ذلك! إذا ما تكرم السلحف" إلا أن الجريفن قال مبديًا استياءه: "طيب! لا يهم ما يكون عليه ذوقها في الأغاني! غنِ لها "شوربة السلاحف" يا صديقي العزيز" تنهد السلحف الساخر تنهيدة عميقة، وبدأ يغنى بصوت خنقه البكاء أحيانا:

يا شوربة الخضار

فى السلطانية سخنة

مين منكم مش محتار

ونفسه فى شوربة سخنة

يا شوربة الخضار

يا شوربة الخضار

مين للسمك ح يبص

أو حتى للفراخ

ودى شوربة بصاغ و نص

تتاكل حتى حاف

يا شوربة الخضار

يا شوربة الخضار

صاح الجريفن: "سنغنى فى مجموعة مرة ثانية!" وكان السلحف قد بدأ لتوه فى الغناء مكرراً الأغنية عندما سُمِعَ هتاف من بعيد يُعلن: "ستبدأ المحاكمة!"

قال الجريفن: "هيا!" وبعد ما أمسك بيد أليس، مضى مسرعا دون أن ينتظر نهاية الأغنية.

أخذت أليس تلهث وهى تجرى وسألته: "أية محاكمة؟" ولكن الجريفن أجاب: "هيا اجرِ!" وجرى بسرعة أكبر فى حين جاء صوت الأغنية الحزينة عن بعد:

ياشوربة الخضار –!

ياشوربة الخضار –!

الفصل الحادى عشر

من هو سارق فطائر المربى؟

كان ملك القلوب وملكة القلوب جالسين على عرشهما عندما وصلت أليس والجريفن، وقد تجمع حولهما حشد هائل من شتى أنواع الطيور الصغيرة والحيوانات انضم إليها مجموعة كاملة من ورق الكوتشينة. كان أمير الكوتشينة واقفا أمامها مقيدا بالسلاسل وعلى يمينه وشماله جنديان يحرسانه من كل جانب، وبالقرب من الملك وقف الأرنب الأبيض يحمل بوقا بيد ومجموعة من الورق بالأخرى. وفى وسط الملعب تماما وضعت مائدة عليها طبق ضخم من الفطائر الشهية التى جعلت أليس تشعر بالجوع ما أن رأتها فراودتها فكرة: "أتمنى أن ينتهوا من المحاكمة ويقوموا بتوزيع المرطبات! ولكن لم يبدُ أى أمل فى ذلك فبدأت تنظر إلى كل ما حولها لكى تمضى الوقت.

لم يسبق لأليس أن زارت محكمة من قبل، ولكنها كانت قد قرأت عنها فى الكتب وقد سُرَّت كثيرا حين وجدت أنها تعرف اسم كل شىء

هناك تقريبا. فقالت لنفسها: "ها هو القاضي، لقد ميزته بما يضعه على رأسه من شعر مستعار".

وحيث إنَّ الملك كان هو نفسه القاضي فقد لبس تاجه فوق الشعر المستعار، ولكنه لم يبد مستريحا بل لم يناسبه ما وضعه على رأسه على الإطلاق.

ثم دار بخاطر أليس..."لابد أن هذا هو المكان المخصص لهيئة المحلفين وهذه المخلوقات الاثنتى عشرة (واضطرت لوصفها بأنها "مخلوقات" لأن معظمها كانت حيوانات والبعض كانت طيورا) هى هيئة المحلفين. ورددت أليس هذه الكلمة الأخيرة مرتين أو ثلاث مرات لنفسها، وهى فخورة لأن قلة من الفتيات يعرفن كلمة "محلفين".

وكان المحلفون الاثنا عشر كلهم منهمكين فى الكتابة على ألواح فهمست أليس للجريفن: "ماذا يكتبون؟ فلا يمكن أن يكون لديهم أى شيء يدونونه قبل أن تبدأ المحاكمة".

همس الجريفن مجيبا: "إنهم يدونون أسماءهم؛ خشية أن ينسوها قبل انتهاء المحاكمة".

شرعت أليس تقول وقد تملك منها الغضب: "ما أسخف ذلك!" ولكنها توقفت بسرعة لأن الأرنب الأبيض صاح: "الزموا الصمت فى

قاعة المحكمة!" أما الملك فقد ارتدى نظارته وتطلع حوله بقلق؛ كي يرى من كان يتكلم.

فهمت أليس كما لو كانت تقف وراء ظهور المحلفين أنهم كانوا كلهم يكتبون"أشياء سخيفة!" في ألواحهم، كما أنها استطاعت أن تكتشف أن أحدهم لم يعرف كيف يكتب كلمة"سخيفة"، وكان عليه أن يسأل جاره ليخبره كيف يكتبها. ففكرت أليس: "ستكون ألواحهم قد اختلط كل ما بها اختلاطًا كثيرًا قبل أن تنتهي المحاكمة!" وكان لأحد المحلفين قلمٌ يصدر صريرًا مزعجًا.

لم تستطع أليس أن تتحمل ذلك الصوت فدارت حول قاعة المحكمة حتى وقفت وراءه ووجدت فرصة لاختطاف قلمه، وقد قامت بذلك بسرعة كبيرة فلم يدرك المحلف الصغير المسكين (وهو بيل السحلية) ماذا حل به، فأخذ يبحث عن القلم، واضطر في النهاية أن يكتب بإصبعه طول اليوم دون جدوى؛ إذ لم يترك إصبعه أي أثر على اللوح.

وبدأ الملك الجلسة فقال: "أيها الحاجب، اقرأ الاتهام!"

وعلى الفور نفخ الأرنب الأبيض ثلاث مرات في البوق، ثم فرد لفافة الورق التي في يده وأخذ يقرأ التالي:

فطاير المربى اللى عملتها الملكة

طول الليل والنهار

والجو حر نار

خدها الأمير وطار

قال الملك لهيئة المحلفين: "تدبروا الحكم"

فقاطعه الأرنب الأبيض بسرعة: "ليس بعد، ليس بعد! فهنالك المزيد من الأدلة!"

قال الملك: "استدع الشاهد الأول إذن" فنفخ الأرنب الأبيض ثلاث مرات في البوق ونادى: "الشاهد الأول!"

كان الشاهد الأول هو صانع القبعات وقد دخل يحمل فنجان شاى بيد، وقطعة خبز وزبد بالأخرى ثم قال: "أرجو المعذرة يا صاحب الجلالة لإحضارى هذه المأكولات، ولكننى لم أنته من تناولى الشاى عندما أرسل فى طلبى".

فقال الملك: "كان ينبغى أن تنتهى. متى بدأت؟"

نظر صانع القبعات إلى أرنب مارس البرى الذى كان قد تبعه إلى المحكمة وذراعه فى ذراع الفأر، وقال: "أعتقد أن هذا كان فى الرابع عشر من مارس".

ولكن أرنب مارس البرى قال: "بل فى الخامس عشر".

وأضاف الفأر: "السادس عشر".

قال الملك لهيئة المحلفين: "دونوا ذلك"؛ فكتب المحلفون بحماس هذه التواريخ الثلاثة فى ألواحهم، ومن ثم جمعوها وحولوا الناتج إلى شلنات وبنسات.

قال الملك لصانع القبعات: "اخلع قبعتك".

قال صانع القبعات: "هي ليست قبعتي".

فأشار الملك وهو يلتفت إلى هيئة المحلفين الذين وضعوا فى الحال مذكرة تتعلق بهذه الحقيقة: "إنها مسروقة!"

أضاف صانع القبعات موضحا: "أنا أحتفظ بالقبعات كى أبيعها. لا أمتلك أيا منها. فأنا صانع قبعات".

هنا وضعت الملكة نظارتها وبدأت تحدق بقوة فى صانع القبعات الذى أصبح شاحبا وأخذ يتململ.

قال الملك: "أدل بشهادتك، ولا تتوتر، وإلا أمرت بإعدامك على الفور".

لم يبد أن هذا يشجع الشاهد على الإطلاق؛ إذ أخذ يبدل قدما بأخرى وهو ينظر بقلق إلى الملكة، وفي غمرة ارتباكه قضم قطعة كبيرة من فنجان الشاى بدلا من الخبز والزبد.

وفي هذه اللحظة تحديداً راود أليس شعور غريب جدا أصابها بحيرة شديدة إلى أن فهمت ما هو؛ إذ بدت تنمو مرة أخرى ففكرت أن تغادر قاعة المحكمة، ولكنها عندما أعادت التفكير قررت أن تبقى مكانها ما اتسعت الغرفة لذلك.

قال الفأر الذى كان جالسا بالقرب منها: "لا تضغطى علىّ هكذا، أكاد أعجز عن التنفس"

قالت أليس بخنوع شديد: "لا أستطيع أن أقاوم ذلك، فأنا أنمو"

فقال الفأر :"ليس لديك الحق فى أن تنمى هنا"

قالت أليس بجرأة أكبر: "لا تنطق بالسخافات، أنت تعلم أنك تنمو أيضا"

قال الفأر: "نعم، ولكنى أنمو بدرجة معقولة وليس بهذه الطريقة السخيفة"، ثم نهض وهو عابس جدا وعبر إلى الجانب الآخر من قاعة المحكمة.

أثناء ذلك كله لم تكف الملكة عن التحديق فى صانع القبعات، وما أن عبر الفأر قاعة المحكمة حتى قالت لأحد ضباط المحكمة: "آتنى بلائحة المنشدين فى الحفل الغنائى الأخير!" فارتعد صانع القبعات المسكين حتى خلع حذاءه.

وقال الملك مرة ثانية: "أدلِ بشهادتك وإلا أمرت بإعدامك سواء كنت متوترا أم لا".

شرع صانع القبعات يقول بصوت مرتعش: "أنا رجل مسكين يا صاحب الجلالة، ولم أكد أبدأ فى تناول الشاى - وذلك منذ حوالى أسبوع تقريبا - فما بال جلالتكم وقد أصبح الخبز أثراً بعد عين - كما انطلقت شرارات من فنجان الشاى -"

قال الملك: "ما أصل كلامك هذا؟"

فأجاب صانع القبعات: "حرف الشين!"

فقال الملك بحدة: "طبعا كلمة شاى وكلمة شرر تبدأن بحرف الشين هل تظننى غبيا ؟ أكمل كلامك!"

فتابع صانع القبعات قوله: "أنا رجل مسكين يا مولاى فكل شىء أخذ يتلألأ ويتحرك بعد ذلك - وقال أرنب مارس البرى -"

قاطعه أرنب مارس البرى على الفور وقال: "لم أقل شيئا!"

فقال صانع القبعات: "بل قلت!"

قال أرنب مارس البرى: "أنا أنكر ذلك!"

قال الملك: "إنه ينكر ذلك، احذف هذا الجزء".

تابع صانع القبعات القول وهو ينظر حوله بقلق؛ ليرى إن كان الفأر سينكر ذلك أيضا: "حسنا، على أى حال فبعد ذلك أخذت المزيد من الخبز والزبد" ولكن الفأر لم ينكر شيئا لأنه كان مستغرقا فى النوم.

إلا أن أحد المحلفين سأل: "وماذا قال الفأر؟"

قال صانع القبعات: "لا أتذكر".

فأشار الملك بالقول: "عليك أن تتذكر وإلا أمرت بإعدامك".

أسقط صانع القبعات فنجان الشاى والخبز والزبد ثم خر راكعا على ركبة واحدة، وبدأ يقول: "أنا رجل مسكين يا صاحب الجلالة".

قال الملك: "أنت لا الحديث؟؟ على الإطلاق".

هنا هتف أحد الفئران البيضاء ابتهاجا فقمعه ضباط المحكمة على الفور (بما أن كلمة "أخمده" صعبة نوعا ما سأشرح لكم كيف تم قمعه فقد كان بحوزتهم كيس من قماش يربط عند الفتحة بخيوط، فأنزلوا الفأر الأبيض فى هذا الكيس بوضع رأسه أولا ثم جلسوا فوقه).

فكرت أليس... "يسعدنى أننى شاهدت ذلك يحدث. لطللا قرأت عن ذلك فى الصحف عند نهاية المحاكمات"، كانت هناك محاولات للهتاف ولكن ضباط المحكمة قمعوها فى الحال "ولم أفهم ما يعنيه ذلك وقتها".

ثم تابع الملك: "إذا كان هذا هو كل ما تعرفه عن الأمر فيمكنك أن تنزل من موقع الشهود"

فقال صانع القبعات: "لا أستطيع النزول أكثر من ذلك، فأنا على الأرض بالفعل".

فأجاب الملك: "إذن يمكنك أن تجلس".

وهنا هتف الفأر الأبيض فبادر الضباط بقمعه مرة أخرى.

فكرت أليس..."ها قد انتهى أمر الفئران البيضاء! الآن سنمضى قدماً على نحو أفضل".

قال صانع القبعات وهو ينظر نظرة قلق إلى الملكة التى كانت تقرأ لائحة المنشدين: "أفضل أن أفرغ من تناول الشاى".

فقال الملك :"يمكنك أن تذهب" فسارع صانع القبعات بمغادرة قاعة المحكمة على عجل حتى دون ارتداء حذائه.

إلا أن الملكة أضافت قائلة لأحد الضباط: "اقطع رأسه خارج قاعة المحكمة!" لكن صانع القبعات كان قد اختفى عن الأنظار قبل أن يستطيع الضابط بلوغ الباب.

ثم قال الملك :"ناد الشاهد التالى!"

كان الشاهد التالى هو طاهية الدوقة وكانت تحمل علبة الفلفل فى يدها، وقد أدركت أليس أنها الطاهية حتى قبل أن تدخل قاعة المحكمة؛ لأن الناس الأقرب إلى الباب بدءوا يعطسون جميعا فى آن واحد.

أمرها الملك: "أدلى بشهادتك".

فقالت الطاهية :"لا لن أفعل".

تطلع الملك بقلق إلى الأرنب الأبيض الذى قال بصوت منخفض: "عليكم يا صاحب الجلالة استجواب هذه الشاهدة بدقة".

قال الملك بلهجة حزينة: "حسنا، إن كان علىّ ذلك، فسأفعل"، وبعد أن عقد ذراعيه على صدره ونظر بعبوس شديد إلى الطاهية حتى اختفت عيناه فى ثنايا وجهه تقريبًا قال بصوت عميق: "مم تصنع فطائر المربى؟"

قالت الطاهية: "من الفلفل، فى المقام الأول".

وقال صوت يُغالب النوم من خلفها: "من العسل الأسود".

صرخت الملكة: "اقبضوا اقبضوا على هذا الفأر. اقطعوا رأسه! اطردوه من قاعة المحكمة! أخمدوه!! اعتقلوه! انتفوا شاربيه!

سادت الفوضى فى قاعة المحكمة كلها لبضع دقائق وهم يخرجون الفأر، وعندما هدأوا كانت الطاهية قد اختفت.

قال الملك فى ارتياح شديد: "لا يهم! نادوا على الشاهد التالى"، ثم أضاف بصوت منخفض للملكة: "يا عزيزتى عليك أن تستجوبى الشاهد التالى بدقة فإن هذا العمل يجلب لى صداعاً فى رأسى!"

أخذت أليس تراقب الأرنب الأبيض وهو يبحث عن الأسماء فى القائمة وهى تشعر بفضول شديد لترى من سيكون الشاهد التالى، وقالت فى نفسها: "لم يحصلوا على أدلة كافية حتى الآن". ولك أيها القارئ أن تتخيل دهشتها عندما نادى الأرنب الأبيض بأعلى صوته اسم "أليس!"

الفصل الثانى عشر

شهادة أليس

صاحت أليس: "أنا هنا!" وقد أنْسَتْها المفاجأة كم أصبحت ضخمة الحجم منذ دقائق مضت، فانتصبت واقفة فجأة، وقلبت منصة هيئة المحلفين بطرف فستانها، مما أسقط كل المحلفين على رؤوس الجمهور الحاضر فى القاعة، فتناثرت الحيوانات والطيور، مما ذكرها بمنظر وعاء السمكة الذهبية التى قلبتها منذ أسبوع.

قالت أليس وقد انزعجت لما حدث: "أوه، أرجو معذرتكم!" وبدأت تلتقطهم ثانية بأقصى ما استطاعت من سرعة؛ لأن حادثة السمكة الذهبية بقيت تراودها فشعرت أنَّ عليها أن تجمع الحيوانات والطيور فى الحال وتعيدها إلى منصة هيئة المحلفين وإلا فإنها ستموت.

قال الملك بصوت جاد للغاية: "لا يمكن أن تبدأ المحاكمة حتى يعود المحلفون كلهم إلى أماكنهم الصحيحة - كلهم"، وقد كرر ذلك بتأكيد صارم ناظرا لأليس بقسوة وهو يقول ذلك.

ونظرت أليس إلى منصة المحلفين ووجدت أنها حين تعثرت قد قلبت السحلية الصغيرة رأسًا على عقب، فكان المسكين يلوح بذيله على نحو يثير الشفقة وهو عاجز تماما عن الحركة؛ فأخرجته بسرعة وعدلته فى مكانه الصحيح وقالت فى نفسها: "لن يفيد ذلك بشىء فإن جلوسه بأى وضع لن يؤثر على سير المحاكمة".

وما أن أفاق المحلفون من صدمة انقلابهم وتم العثور على ألواحهم وسلمت إليهم الأقلام الرصاص حتى بدءوا يعملون جميعا باجتهاد؛ لكى يدونوا تاريخ الحادثة ما عدا السحلية الذى بدا مشلول القوى إلى حد كبير، فأصبح عاجزا عن فعل أى شىء سوى الجلوس وقد فغر فاه وشخص ببصره إلى سقف قاعة المحكمة.

قال الملك لأليس: "ماذا تعرفين عن هذه القضية؟"

قالت أليس: "لا شىء".

ألح الملك قائلا: "لا شىء على الإطلاق؟"

قالت أليس: "لا شىء على الإطلاق".

قال الملك وهو يلتفت إلى هيئة المحلفين: "هذا مهم جدا". وكانوا قد بدءوا يكتبون هذا على ألواحهم عندما قاطعه الأرنب الأبيض بأدب بالغ وقال: "تقصد أن هذا غير مهم يا مولاى".

قال الملك بسرعة: "أقصد، غير مهم، طبعا،" ومضى يحدث نفسه بصوت خفيض..."مهم – غير مهم – مهم –" وكأنما يحاول أن يقرر أى الكلمتين أجمل صوتًا.

وهكذا كتب بعض المحلفين "مهم" وكتب بعضهم الآخر"غير مهم"، وقد استطاعت أليس أن تشاهد هذا؛ لأنها كانت على درجة من القرب منهم تسمح لها بالنظر إلى ألواحهم فدار فى خاطرها... "إن الأمر ليس مهمًا على الإطلاق".

وفى تلك اللحظة، هتف الملك الذى كان منهمكا لبعض الوقت بالكتابة فى دفتر ملاحظاته: "الزموا الصمت!" وقرأ من كتابه: "القاعدة الثانية والأربعون: على كل من هم أكثر طولا من ميل مغادرة قاعة المحكمة".

نظر الجميع إلى أليس.

فقالت أليس: "لا أبلغ الميل طولا!"

قال الملك: "بل أنت كذلك".

وأضافت الملكة: "إن طولك يقرب من ميلين".

ولكن أليس قالت: "حسنًا ولكنى لن أذهب، كما أن هذه القاعدة ليست ثابتة، فقد اخترعتها الآن".

فقال الملك: "إنها أقدم قاعدة فى الكتاب".

قالت أليس: "إذن يجب أن تكون رقم واحد".

ظهرت علامات الشحوب على وجه الملك وأغلق دفتر ملاحظاته بسرعة، ثم قال لهيئة المحلفين بصوت خفيض مرتجف: " تدبروا حكمكم جيدا".

ولكن الأرنب الأبيض قال وهو يقفز فى سرعة هائلة: "أرجو جلالتكم الانتظار فهنالك المزيد من الأدلة وقد جاءت هذه الورقة الآن".

فسألت الملكة: "وما محتواها؟"

قال الأرنب الأبيض: "لم أفتحها بعد، ولكنها تبدو أنها كتبت من قبل سجين إلى - إلى شخص ما".

قال الملك: "لابد أنها كذلك فإن كانت لم تكتب لأحد فهذا أمر غير مألوف كما تعلم".

قال أحد المحلفين: "إلى من وُجهت؟"

قال الأرنب الأبيض: "ليست موجهة إلى أحد فلم يُكتب عليها شىء من الخارج"، وفتح الورقة وهو يتحدث، ثم أضاف: "إنها ليست رسالة على الإطلاق: إنها مجموعة من الأشعار".

سأل محلف آخر: "هل هى مكتوبة بخط السجين؟"

قال الأرنب الأبيض: "لا، وهذا أغرب ما فى الأمر". (بدا المحلفون فى حيرة من أمرهم).

قال الملك:"لابد أن من كتبها حاكى خط شخص آخر". (أشرق وجه كل المحلفين ثانية).

قال الشاب: "بعد إذنك يا مولاى أنا لم أكتبها، ولا يستطيع المحلفون أن يثبتوا ذلك فما من اسم موقع فى النهاية".

قال الملك: "إن لم تكن قد وقعتها فذلك يجعل الأمر أسوأ فلابد أنك كنت تدبر شرا، وإلا كنت قد وقعت اسمك كما يفعل الشرفاء".

تبع ذلك تصفيق عام لأنه أول شىء ذكى قاله الملك فى ذلك اليوم.

وقالت الملكة: "إن ذلك يثبت أنه مذنب".

فقالت أليس: "إنه لا يثبت شيئا من هذا القبيل!"

قال الملك للأرنب: "اقرأ الرسالة".

وضع الأرنب الأبيض نظارته وسأل: "أين أبدأ يا صاحب الجلالة؟"

قال الملك بجدية: "ابدأ من البداية واستمر حتى تصل إلى النهاية ثم توقف".

وتلك كانت الأشعار التى قرأها الأرنب الأبيض:

قالوا لى أنك كنت عندها وسألتها علىّ

وردت هى وقالت: إنى ميه، ميه

ماعدا العوم فى المية

لكنه بعت مرسال

(وعرفنا إنه قال)

إنى ولا رحت ولا كنت عندهم

ولو فضلت تزنزن كتير فى ودنهم

ح يبقى إيه مصيرك معاهم كلهم؟

أنا اديتها واحدة وهما ادولوا اتنين

وإنت اديتنا تلاتة وأكتر من اتنين

وكلها رجعت تانى منى لك

مع إنه كله بتاعى من أول ما ابتديت

لو أنا ولا هى

وقعنا فى الورطة ديه

إنت اللى ح تطلعنا

ما إنت اللى كنت بينا

(قبل جنانها هى)

هو واحنا وهم

وما تقولوش إزاى حبتهم كلهم

ده سر يفضل بينا

وماتقولوش لهم

قال الملك وهو يفرك يديه: "إنَّ تلك المعلومات هى أهم ما سمعناه حتى الآن، فلندعو هيئة المحلفين".

قالت أليس: "لو تمكن أحدهم من تفسيرها سأعطيه ستة بنسات. لا أعتقد أن فيها ذرة من المعنى". (فقد أصبحت أليس ضخمة جدا فى الدقائق القليلة الأخيرة بحيث لم تعد تخشى مقاطعته)

كتب المحلفون كلهم على ألواحهم: "لا تعتقد أن فيها ذرة من المعنى"، ولكن لم يحاول أى منهم أن يفسر ما فى الورقة.

قال الملك: "إن لم يكن لها معنى فإن ذلك يوفر الكثير من المتاعب كما تعلمون، إذ لسنا فى حاجة إلى أن نحاول أن نجد أى معنى. ومع ذلك لست أدرى"، تابع يقول وهو ينشر الأشعار على ركبته، وينظر إليها بعين واحدة ثم قال: "يبدو أننى أجد فيها بعض المعانى" فمثلا هناك "ماعدا العوم فى المية"- ثم التفت إلى الأمير وسأله: "أنت لا تستطيع السباحة أليس كذلك؟"

هز الأمير رأسه بحزن وقال: "هل يبدو علىّ ذلك؟" (بالتأكيد لم يبد ذلك، لأنه مصنوع كليا من الورق المقوى).

قال الملك: "هذا أمر مقبول حتى الآن". ومضى يتمتم مرددا الأشعار لنفسه: "نحن نعلم أن هذا صحيح، إن تلك هى هيئة المحلفين، طبعا "أنا إديتها واحدة وهما ادولوا اتنين -"عجبا، لابد أن ذلك ما فعله بالفطائر كما تعلمون".

قالت أليس: "البقية تقول: "وكلها رجعت تانى منى لك".

قال الملك بلهجة انتصار مشيرا إلى الفطائر الموضوعة على المائدة: "عجبا، ها هى! لا يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحا من ذلك!" ثم قال

للملكة:"- قبل جنانها هى -"أنت لا تصابين بنوبات جنونية أبدا يا عزيزتى على ما أظن؟"

قالت الملكة بغضب شديد وقد رمت بالمحبرة على السحلية وهى تتحدث "أبدا!". (كان بيل الصغير التعيس الحظ قد توقف عن الكتابة بإصبع واحد على اللوح، إذ وجد أنه لا يترك أى أثر، لكنه الآن بدأ ثانية بسرعة، مستخدما الحبر الذى كان يتساقط على وجهه، إلى أن نفد).

قال الملك وهو ينظر حول قاعة المحكمة بابتسامة: "حيث إنك لا تصابين بنوبات من الجنون، فالأغنية لا تنطبق عليك إذن" وساد صمت مدو.

أضاف الملك بنبرة غاضبة: "إن الأمر كله لا يعدو أن يكون تلاعبًا بالألفاظ!"؛ فضحك الجميع.

قال الملك للمرة العشرين تقريبا فى ذلك اليوم: "دعوا المحكمة تدرس حكمها".

قالت الملكة: "لا، لا! العقوبة أولا - الحكم فيما بعد".

فقالت أليس بصوت مرتفع: "هذا كلام فارغ! فكيف تطبق العقوبة قبل الحكم!"

قالت الملكة وقد استشاطت غضبا: "اسكتى!"

قالت أليس: "لن أسكت!"

فصرخت الملكة بأعلى صوتها: "اقطعوا رأسها!"، ولكن أحدا لم يحرك ساكنا.

قالت أليس: "ليس هناك من يأتمر بأمرك" (وكانت حينذاك قد كبرت إلى حجمها الكامل). "لستم سوى مجموعة من ورق الكوتشينة!"

وعندئذ ارتفعت المجموعة بأكملها فى الهواء ونزلت فوق أليس فأطلقت صرخة صغيرة، وقد تداخل الخوف والغضب داخلها وحاولت أن تبعدها، وما كان إلا أن وجدت نفسها ممددة على حافة النهر ورأسها على حجر أختها التى كانت تمد يدها برقة؛ كى ترفع بعض الأوراق الميتة التى تساقطت من الأشجار على وجهها.

قالت أختها: "استيقظى يا عزيزتى أليس! ياله من سبات عميق استغرقت فيه!"

قالت أليس: "أوه، لقد رأيت حلما غريبا جدا!"، ثم أخبرت أختها بكل مغامراتها الغريبة بقدر ما أسعفتها ذاكرتها، وهى المغامرات التى كنت تطالعها يا قارئى العزيز، وعندما انتهت قبلتها أختها وقالت: "إنه لحلم غريب يا حبيبتى الصغيرة بالتأكيد، ولكن أسرعى الآن لتناول الشاى فقد تأخرنا". وهكذا نهضت أليس وأخذت تفكر وهى تجرى... "كم كان الحلم رائعا".

غير أن أختها جلست بلا حراك تماما مثلما تركتها، وقد أسندت رأسها على يديها تراقب الشمس الغاربة وتفكر فى أليس وكل مغامراتها الرائعة حتى بدأت تحلم مثلها وهذا هو حلمها:

فى البداية حلمت بأليس الصغيرة نفسها، فمرة أخرى رأت اليدين الصغيرتين متشابكتين فوق الركبتين، والعينين اللامعتين المتلهفتين تتطلعان إليها - استطاعت أن تسمع نبرات صوتها، وترى حركة رأسها العفوية لإبعاد الشعر المتطاير على عينيها - وبينما هى تنصت أو بدا كأنها تنصت، إذا بالمكان حولها كله وقد ازدحم بالمخلوقات الغريبة التى كانت فى حلم أختها.

ترامى إلى سمعها صوت خطى الأرنب الأبيض المسرع على العشب الكثيف - شق الفأر الخائف طريقه فى الماء عبر البركة المجاورة - استطاعت أن تسمع طقطقة فناجين الشاى عندما اجتمع أرنب مارس البرى وأصدقاؤه لتناول وجبتهم التى لا تنتهى، وصوت الملكة الحاد يأمر بإعدام ضيوفها التعساء الحظ - ومرة أخرى كان الطفل الخنزير يعطس على ركبة الدوقة فى حين تهشمت الصحون والأطباق حولها - ومرة أخرى ملأ الجو صراخ الجريفن وصرير قلم رصاص السحلية، واختناق الخنازير بسبب قمعها، وامتزج بالنشيج البعيد للسلحف الساخر التعيس.

وهكذا بقيت جالسة وقد أغلقت عينيها، وهى تكاد تظن نفسها فى بلاد العجائب مع معرفتها أنها عندما تفتحهما ثانية سوف يتغير كل شىء إلى واقع ممل - فلن تسمع للعشب صوتا إلا عند هبوب الريح، ولن تتحرك مياه البركة إلا مع تحرك البوص، وستتحول طقطقة فناجين الشاى إلى قرع أجراس الخراف، وصياح الملكة الحاد إلى صوت الراعى - وستتغير عطسات الطفل وصراخ الجريفن وسائر الأصوات الغريبة الأخرى إلى الضجة المختلطة فى المزرعة التى تضج بالنشاط - وسيحل خوار القطيع البعيد محل صوت بكاء السلحف الساخر.

وأخيرا، تخيلت كيف ستكون أختها الصغيرة هذه نفسها فى المستقبل امرأة ناضجة، وكيف ستحتفظ خلال سنواتها الأكثر نضجا بروح طفولتها البسيطة المحببة، وكيف ستجمع حولها أطفالا صغارا آخرين يتلهفون وتلمع أعينهم لسماع القصص الغريبة بل لسماع حلم مغامرتها فى بلاد العجائب، وكيف ستشعر بكل أحزانهم البسيطة وتجد متعة فى كل مسراتهم البسيطة، وهى تتذكر حياة طفولتها وأيام الصيف السعيدة.

المؤلف فى سطور:

لويس كارول (١٨٣٢- ١٨٩٨)

هو الاسم القلمى للكاتب وعالم الرياضيات والمصور الفوتوغرافى الإنجليزى تشارلز لوتويدج دودسن، الذى اشتهر لابتكاره قصة **أليس فى بلاد العجائب** فى عام ١٨٦٥ . وكان كارول صديقًا للأطفال شغوفًا برواية القصص، وفى شهر يولية سنة ١٨٦٢ ذهب فى نزهة نهرية مع عدد محدود من أصحابه وقص على ثلاث فتيات صغيرات شقيقات - هن لوريا وأليس وإديث - قصة أليس ومغامرتها فى أرض العجائب فشُغلن بها ورجونه أن يكتبها، وفى عيد الميلاد من تلك السنة نفسها قَدَّمَ إلى أليس مخطوط هذه القصة كاملاً. ثم تسامع أصحابه بالقصة وأعجبوا بها إعجابًا شديداً فألحوا عليه لينشرها، فصدرت الطبعة الأولى منها عن دار مكميلان للنشر سنة ١٨٦٥ محلاة برسوم من ريشة السير جون تنيل الفنان الشهير، فلاقت رواجا عظيماً على الفور وأعيد طبعها مرات كثيرة فى حياة مؤلفها وترجمت إلى لغات شتى، وصارت من الأعمال الكلاسيكية فى أدب الأطفال منذ ذلك الحين.

وتلت **أليس فى بلاد العجائب** قصص أخرى من هذا النوع الهزلى أشهرها **أليس ومغامرتها داخل المرآة** فى سنة ١٨٧٢، **وصيد الطير الخرافى** سنة ١٨٧٦، **والنظم والعقل** فى سنة ١٨٨٣، **وحكاية متشابكة**

فى سنة ١٨٨٥، ولعبة المنطق فى سنة ١٨٨٧، وسيلفيا وبرونو فى سنة ١٨٨٩، وختام سيلفيا وبرونو فى سنة ١٨٩٣ .

المترجمة فى سطور:

نادية الخولى

أستاذ الأدب الإنجليزى فى كلية الآداب - جامعة القاهرة. لها أبحاث فى مجالات الكتابة والترجمة للأطفال والنقد المقارن، ودراسات حول الرواية العربية والإنجليزية الحديثة. حائزة على جائزة أدب الأطفال عام ١٩٩٩ عن سلسة كلمة كلمة. كانت أول عضو من العالم العربى فى لجنة التحكيم لجائزة هانز كريستيان أندرسون لكتّاب كتب الأطفال ورساميها، وهى عضو فى مجلس إدارة المجلس العالمى لكتب الأطفال ورئيس المجلس المصرى لكتب الأطفال. وتشغل الآن منصب رئيس المركز القومى لثقافة الطفل.

المراجع فى سطور:

مصطفى رياض

- أستاذ الأدب الإنجليزى فى كلية الآداب - جامعة عين شمس.

له تحت الطبع بالمركز القومى للترجمة كتاب "مصر تحت حكم بونابرت".

التصحيح اللغـوى : صفاء فتحى
الإشــراف الفنــى : حسن كامل